

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

المظاهر الحضارية في شعر الغزل في العصر الأموي

إعداد الطالبة
إنشراح علي مشافق الفقراء

إشراف
الأستاذة الدكتورة: إبتسام مرهون الصفّار

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجـــة
الماجستير في اللغة العربية قسم الأدب والنقد

جامعة مؤتة، 2005م

بسم الله الرحمن الرحيم



MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالبة انشراح علي الفقراء الموسومة بـــ:

المظاهر الحضارية في شعر الغزل في العصر الأموي

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية.

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. ابتسام الصفار		2005/8/17	مشرفاً ورئيسا
أ.د. علي المحاسنة		2005/8/17	عضواً
أ.د. مي يوسف		2005/8/17	عضواً
د. زايد المقابله		2005/8/17	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. أحمد القطامين



MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلـــى مـــن غـــرس في نفسي حب العلم والتفاني من أجله، إلى الذي علّمني الـــتحدي والإصرار لبلوغ الغاية والدي، إلى الزهرة الرقيقة رمز العطاء والحنان والدتـــي، إلـــى أرواح أجدادي عليهم الرحمة، إلى كل من قدم لي عوناً ومساعدة، وآخرين لهم في القلب منزلة وفي النفس مكانة، الى الدكتور علي عباس علوان لما قدمـــه لي من مساعدة، إلى كل من يحب العلم والدراسة، إليهم جميعاً أهدي ثمرتي الأولى في مجال البحث والدراسة.

إنشراح علي مشافق الفقراء

الشكر والتقدير

بعد الحمد لله وشكره وتيسيره، يسعدني أن أتقدم بالشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذة الدكتورة إبتسام مرهون الصفّار لتفضلها وقبولها الإشراف على هذه الرسالة. والمتابعة المستمرة لي طيلة مدّة الكتابة، حيث تابعتني خطوة بخطوة، وقدمت لي النصح والمشورة والملحوظات القيّمة من دراسة النصوص وتحليلها وتصويبها وبذل الجهد في ذلك، فلها كل التحية والتقدير.

وأتوجه بجزيل الشكر إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة: أ.د مي أحمد يوسف التي بذلت الجهد وتكلفت عناء السفر وأ.د علي المحاسنة، والدكتور زايد المقابلة لهم الشكر جميعاً على تفضلهم بقراءة هذه الرسالة وإبداء الملاحظات القيِّمة، كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى جميع أساتذة قسم اللغة العربية في جامعة مؤتة لهم خالص محبتي وتقديري.

إنشراح علي مشافق الفقراء

فهرس المحتويات

الملخص

المظاهر الحضارية في شعر الغزل في العصر الأموي

انشراح علي مشافق الفقراء

جامعة مؤتة، 2005

تهدف هذه الدراسة إلى بحث المظاهر الحضارية في شعر الغزل في العصر الأمـــوي، وبيان تلك المظاهر من خلال أشعار أولئك الشعراء، فالعصر الأموي يعد من العصور العريقة في تاريخ البشرية عبر امتداده الطويل في حقبة زمنية طويلة، تجلّـــت فيه الحضارة بشتّى أنواعها وأشكالها ومن أهم مظاهر الحضارة التي برزت وصاغها الشعراء في أشعارهم مظاهر السلوك الاجتماعي، ومظاهر اللباس والزينة ومظاهر البناء والعمران.

أما مظاهر السلوك الاجتماعي، فقد تمثّلت في علاقة المرأة بالرجل وإظهار هـــذه العلاقـــة مـــن خلال أشعار شعراء الغزل. هناك أيضاً علاقة المرأة والرجل بالمجتمع من أصدقاء وأعداء ووشاة وعذّال.

ومن المظاهر الحضارية الأخرى التي ظهرت في شعر شعراء الغزل ويمكن متابعـــتها مظاهـــر اللـــباس والزيـــنة والتفنن في اللباس والطيب والزينة والكحل والخضاب وغير ذلك.

ويـــبرز مظهـــر حضـــاري آخر تبدو صورته في مظاهر البناء والعمران، وتتضـــح محاوره في وصف الخيام والهوادج والبيوت والدور والقصور والبساتين والمنشآت الآخرى.

Abstract

The civilized Features of Gallant Poesy in the Umayyad Era

Enshirah Ali Mshafig Al fugara

Mu'tah University, 2005

This study aimed to investigate the civilized features in the poetry of gallantly poets in the Umayyad Caliph Era and to distinguish these features through the poetry of these poets , because the Umayyad Era is considered to be, one of the deep rooted eras in the human history along it deep extension for along period of time , in which civilization appeared in various sorts and forms . The most important features of civilization, which was formulated by these poetsm is the social feature ; clothes ,cosmetic , building and architecture .

But the social conduct features were represented in the man-woman interpersonal relation , this relation was shown through the poems of gallant poets . Moreover , there were the relations pf man-woman in the society which involve ; friends , enemies , or multifaceted people .

The other features that could be detected in gallant poesy are ; cloths , cosmetic , perfume , kohl , and using henna.

Another civilized feature appeared in the image of building and architectural features exemplified in the descriptions of tents , hoadu (something looks like a small tent placed on the camel back to hold the bride during travel in the desert) , houses , palaces , orchards ,and other institutions .

الفصل الأول

تطوّر الغزل العذري والصريح ونشأتهما

1.1 التمهيد

يعــد العصــر الأمــوي من العصور التاريخية، التي تأصلت فيها الحضارة العربــية. فقد تعددت مجالات الحياة المختلفة، وتطورت بتطور الحضارة والترف ، وتـنفّس العرب الحضارة اليونانية والرومانية، وكان ذلك سبباً في سرعة تحضرهم؛ فظهــرت في ذلك العصر أنواعٌ من الغزل منها: الغزل العذري و الغزل الصريح.وقد ذهــب ابــن منظور إلى تعريف الغزل (لغة)، بقوله :الغزل حديث الفتيان والفتيات، واللهو مع النساء ومغازلتهنّ ومحادثتهنّ، والتغزل التكلف لذلك.

ويقــول فــي موضــع آخــر: نسب بالنساء نسبا ونسيبا: شبب بهن في الشعر وتغّــزل. ويقــول أيضاً: تشبب بالمرأة قال فيها الغزل والنسيب ، وهو يشبب بها أي ينسب بها.[1]

أمــا في الإصطلاح : فالغزل هو الكلمة الطيّبة في امرأة جميلة، يعبّر بها شاعر عاشق عن مشاعره تجاه هذا الجمال، فيسكبه حرقاً في قوالب كلمات تنمّ عن لهفة شوق إلــى الجمــيلة التي أسرته، فانقاد اليها يبثها كل حين أغلى المشاعر في أجمل الأشعار، فالغزل ثناء مقصود لذاته، والحبيب يعبّر عن حبه لحبيبته في النطق بالجمال والتغني به، فهو جمال العاطفة في ثوب الوفاء وجمال التعبير في رداء المعاناة.[2]

وهناك نوعان من الغزل هما:-

الغــزل العاطفــي أو العذري:- والذي نسب الى بني عذرة، إحدى القبائل العربية التــي سكنت في وادي القرى شمالي الحجاز، ولأنَّ شعراءها أكثروا من التغنّي به ونظمــه، وقد حباهم الله من رقة الشعور ما جعلهم مثالاً للعفة والطهارة في الحب.

---

(1) لسان العرب: مادة (غزل) ابن منظور، محمد بن كرم (ت711هـ)، دار صادر ، بيروت. 1994م.

(2) فن الشعر في العصر الاموي، (دراسة تحليلية) ، رفيق عطوي، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، ط1 ، 1424 هـ، 2003م، ص 24.

ويــروى أن ســائلاً ســأل رجــلا من هذه القبيلة ممن أنت؟ فقال: من قوم اذا عشقوا ماتوا .[1]

فالغــزل العذري: تعبير عن وضع طائفة من المتيمين، كانت تتحرج وتذهب مذهــب الــتقى، وتؤثر السلامة والعافية على المغامرة والمخاطرة وترى أن النفس أمّارة بالسُوء، وأن النار قد حفت بالشهوات. [2]

وهــذا الحب الذي شاع واشتهر في صدر الإسلام وبني أميَّة، يُنْسب إلى بني عذرة، قال عروة بن الزبير العذري:" إنكم أرق الناس قلوباً ، فقال: نعم، لقد تركت ثلاثيــن شــاباً خامــرهم السل وما بهم داء إلا الحب، وقال فزاري يوماً لعذري، " أتعــدون موتكــم فــي الحــب مزيَّة، وهو من ضعف اليقين ووهن العقيدة، وضيق الرؤية؟" أما والله لو رأيتم المحاجر البُلج ترشق بالعيون الدعج من تحت الحواجب الــزج، والشــفاه الســمر يــنمو عن الثنايا الغرّ وكأنها شذر الدر لجعلتموها اللات والعزّى وتركتم الإسلام وراء ظهوركم".[3]

ولا يخشــى العاشــق العــذري على حياته، ما دامت الحبيبة تعاني معاناته وتعــيش نجواه، فهذا الإحساس المتبادل بالمعاناة يرسم طبيعة الحب ومعالم العلاقة المتبادلة بين الحبَّيبين.[4] وجــد هــذا النوع من الغزل في العصر الأموي ببيئته الصــالحة فــي وادي الحجاز ونجد، حيث لا تزال حياة العرب الاجتماعية تقارب حــياتهم فــي الجاهلــية ، فقــد كانت تقاليد الجاهلية لا تزال تفرض سلطانها على أفرادها.[5] ويُــرجح القدمــاء تفسيرهم لظاهرة الغزل العذري إلى أثر البيئة في رهافــة الحــسّ، وحــب الجمال، فالنساء يتصفن بالجمال، أما الشباب فإنهم رقيقو المشاعر، مرهفو الإحساس. [6]

---

[1] العصر الاسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، القاهرة ، ص 359.

(2) نفسه.ص359

(3)مصارع العشاق، أبو جعفر السَّراج، دار صادر ، بيروت، لبنان، 1958م،ص20.

(4) فن الشعر في العصر الأموي، ص 61.

(5) دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، عبد الستار أحمد الجواري، 1421 هـ - 2000م،

(6) .آفاق الادب في العصر الاموي، ابتسام مرهون الصفار، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط1، 1425هـ-2005م. ص 241.

والناس إزاء طبيعة الحب فريقان: فريق يرى أن الحب العذري نشأ نتيجة أثر الإسلام وانعكاسه في نفوس أهل البادية الحجازية البائسين فتنّشأ في نفوسهم شيءٍ من التقوى ليس بالحضريّ الخالص؟، وليس بالبدوي الخالص، ولكن فيه سذاجه بدوية ورقة اسلامية. وهذا الغزل العفيف هو في الواقع مرآة صادقة لطموح هذه البادية، الى المثل الأعلى في الحب، ولبراءتها من الفساد التي كانت تغمر أهل مكة والمدينة. (1)

والباحثون في نشأة هذا الحب انقسموا فريقين: فريق يرى أن هذا الحب نبت صحراوي، نشأ وترعرع في جزيرة العرب، ولم يكن الإسلام باعثاً له، وإنما يرجع الى طبيعة المجتمع العربي وتقاليده أما الفريق الآخر، فقد ردّه الى الإسلام وما أشاعه من حب للتصوف والعفاف. (2)

وهذا الحب يرجع الى العصر الجاهلي، فالعذريون الذين ظهروا في العصر الإسلامي إنما كانوا امتداداً للمتيمين في العصر الجاهلي، وقصص حبهم تثبت ذلك فهي متشابهة في جوهرها، وإن اختلفت في بعض تفاصيلها، وأشعارهم تثبت أيضاً أن الإسلام لم يكن خالقاً لهذا الحب. (3)

ففي الغزل العذري العفيف يتحدّث الشاعر عن مشاعر الحب الكريمة التي تنشأ بين الرجل والمرأة وتغلب فيها نوازع الروح على نوازع الجسد، وفيه يتعلّق الشاعر بمحبوبة واحدة يرى فيها مثله الأعلى الذي يحقق له متعة الروح ورضا النفس واستقرار العاطفة. (4)

فالعذاب الذي يعانيه العاشق العذري في الحياة يبعث على الأمل بلقاء دائم في العالم السرمدي، فيقتنع بإمكانية هذا اللقاء، ينتظر قدومه مهما طال زمنه، ودون أن يشكّل الانتظار الصعب مساساً بطبيعة مشاعره المترقرقة في حناياه حزناً مقيماً ولقاءً مأمولاً. (5)

---

(1) حديث الاربعاء، طه حسين، دار المعارف، مصر، القاهرة، ج1، ط12. ص 190.

(2) قضية الحب العذري في شعر بني أمية ، العربي حسن درويش، مكتبة النهضة المصرية، ص 33.

(3) نفسه ، ص33.

(4) دراسات في أدب ونصوص العصر الاموي، ص 26، 27.

(5) فن الشعر في العصر الاموي، ص 61،60.

والمحدثـون من الباحثين تعدّدت آراؤهم فيه، فشيوع الغزل في رأي الدكتور طـه حسين، "يرجع الى تلك الظروف السياسية التي عاشها ابناء الحجاز في عهد بني أمـية والتـي مـلأت نفوسهم باليأس والمرارة لفراغ أيديهم من كل سلطان أو تأثير سياسـي، فاتجه اليأس بأبناء الحاضرة الى اللهو والغناء، لانهم يملكون أسبابها، وأتجه بأبـناء البادية إلى الزهد والتعفف عن متع الحياة ولذائذها والقناعة بما أعدّ الله سبحانه من النعيم الباقي لأهل التقى والعفاف، بهذا يكون الحب العذري اسلامياً صرفاً". (1)

أمـا شـوقي ضيف فإنه يرجع السبب في نشأة الغزل العذري إلى الإسلام الذي طهّر النفوس وبّرأها من كل إثم، وكانت من قبل نفوساً ساذجة لم تعرف الحياة المتحضرة في مكة والمدينة ولا ما يُطْوى فيها من لهو وعبث ، لذلك فإنها لم تعرف الحـب الحضـري المترف ولا الحب الذي تدفع إليه الغرائز، فقد كانت تعصمها بداوتهـا وتدينها بالإسلام الحنيف ومثاليته السامية، وتسامت نفوس هؤلاء الشعراء بالحب العفيف السامي الذي يصلى المحب بناره ويستقر بين أحشائه. (2)

وفي رأي الدكتور شكري فيصل" أن الغزل العذري نشأ بدافع من " التقوى" الإسـلامية وبتأثـير مـن مفهـوم الحب في الإسلام وارتباطه بالعفة، وهذا الغزل العذري تعبير عن وضع طائفة من المسلمين كانت تتحرج وتذهب مذهب التقى. كما أنها تؤثر السلامة والعافية على المفاخرة والمخاطرة". (3)

وقد توسع الدكتور الجواري فيما ذهب إليه الدكتور طه حسين من الربط بين هـذا الحـب العفـيف وبين الإسلام ، فذهب يتلّمس العلاقة لا في جانبه الاخلاقي والعقـدي فقط، بل فيما استحدثه بنظامه الإجتماعي الجديد، وتأثيره بهذا النظام في سـلوك الافـراد والجماعات، فقد أرجع الدكتور الجواري الحب العذري الى ما اسـتحدثه الإسلام من نظم اجتماعية جديدة رفع فيها من شأن المرأة وكفل حقوقها ونظّم علاقة الرجل بها. (4) ويلتقـي الدكـتور غنيمي هلال مع الكتور طه حسين

---

(1) حديث الاربعاء، ج1،ص 190.

(2) العصر الاسلامي، ص 359

(3) تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام، شكري فيصل، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، 1379هـ-1959م،ص 232-237.

(4) قضية الحب العذري في شعر بني أمية، ص 40.

والدكـــتور الجواري في أن الحب العذري إسلامي النشأة، لكنه يرجعه الى العقيدة الإســـلامية وما تمثله من قيم وما ترعاه من آداب، وذلك لان الغزل العذري يتمّيز بصدّق العاطفة وصدق العقيدة، ولم توجد هذه العاطفة الصادقة إلا في المجتمع الذي تمكنت فيه العقيدة الإسلامية. (1).

أمـــا عمـــر فروخ فقد ردّ السبب في نُشُوء الغزل إلى ضعف الشخصية لأن الشـــاعر العذري ناقص الرجولة لا يستطيع أن يكون كالشعراء المغامرين قادراً على التمـــتع بالحياة الطبيعية تمتعاً تاماً. (2) لكن رأي عمر فروخ مردود وذلك لأنه لايمكن أن توصف قبيلة بكاملها بضعف الشخصية ونقص الرجولة(3)

ويتســـاءل الدكتور خليف:" هل كانت عذرة حقا أرق العرب قلوباً وأجملها نساءً؟ ومن ذا الذي يستطيع أن يدّعى أنها امتازت بين جميع القبائل العربية بالرقة والجمال، وإذا صحّ هذا الادعاء، فكيف تعلل لظهور هذا الحب في غيرها من القبائل".؟

يجيب عن تساؤله:-

" مـــن المهم أن نلاحظ أن عذرة لم تنفرد وحدها من بين القبائل العربية بهذا اللـــون، وانمـــا ظهر أيضاً في غيرها من القبائل كقبيلة بني عامر، حيث ظهر مجنون ليلى، وقيس بن الملّوح، وقبيلة كنانة حيث ظهر قيس بن ذريح صاحب لبنى، فالمسألة ليســـت مسألة عذرة وحدها، والحب العذري ليس وقفاً عليها دون غيرها من القبائل، ولكـــنه لـــون من الحب عرفته البادية العربية مع غيرها من ألوان الحب المختلفة اختلافاً مرده الأساسي إلى المزاج الشخصي الذي يدفع الناس إلى اللهو والمجون في الحب كما يدفع بعضهم إلى الوفاء والاخلاص فيه".(4) وأكد الدكتور القط على ذلك ، فـــيقول بأن ظهور هؤلاء الشعراء لم يكن شيئاً مفاجئاً في المجتمع الحجازي والنجدي أنذاك ، بل سبقته طلائع في قصائد ومقطوعات عاطفية مفردة. (5)

---

(1) الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، محمد غنيمي هلال، دار نهضة ، مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1976 ، ص180.

(2) آفاق الادب في العصر الاموي ، ص243.

(3) نفسه ، ص 243.

(4) الحب المثالي عند العرب، يوسف خليف، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1961، ص 14-15.

(5) في الشعر الاسلامي والاموي، عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1407هـــ- 1987م. ص 73.

الغـــزل الصـــريح:- هـــو الغـــزل الحسي المادي الذي أساسه حب تمتزج فيه ميول شـــهوانية أو عواطف خالية من التحرج، وهو تعبير عن نوع من الحب أساسه الشوق الى الاستمتاع بالمرأة الجميلة في نظر الشاعر، فليس هو متسماً بالروحانية التي كانت عند العذريين، ولا مقصوراً على امرأة واحدة يتغّنى الشاعر بحبها ويبقىلها، وليس فيه تحليل عاطفة الشاعر كما حلل العذريون عواطفهم، لأنه تصور لحب عابث من طبيعة الإعجاب المؤقت بالجمال حتى يقضي الشاعر وطراً فينقلب الى جميلة أخرى. (1)

وظهـــر هذا النوع من الغزل في بيئة الحجاز، وساعدت عوامل كثيرة على ازدهاره منها الثراء الواسع الذي عمّ مدن الحجاز نتيجة الفتوح الإسلامية. (2)

والشـــعراء فـــي هذا اللون من الغزل مفتونون بالمرأة من حيث هي وسيلة تسلية وتزجية أوقات الفراغ. (3)

ومـــن سمات هذا اللون من الغزل الألفاظ الرقيقة والعبارات السهلة المألوفة، كمـــا أنه جاء على هيئة مقطوعات قصيرة ذات أوزان خفيفة مجزوءة، ومن سماته أيضـــاً أسـلوب الحوار القصصي، وهو في الغالب حوار بين الشاعر وبين امرأة شريفة تحيط بها أتراب. (4)

وأشـــهر شعراء هذا الغزل عمر بن أبي ربيعة، وعُبيد الله بن قيس الرقيات فـــي مكـــة، وعـــبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان المشهور بالعرجي في الطائف والأحوص الأنصاري في المدينة. (5)

2.1 تطور الحياة الحضارية:-

الحضـــارة في اللغة من حضر والحضور ضد المغيب والغيبة، يقال: حضر يحضر حضوراً وحضارة وكلمته بحضرة فلان وبمحضر منه أي بمشهد منه. (6)

---

(1) الغزل في العصر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، دار القلم ، بيروت . لبنان،ص 250.
(2) دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، ص 5.
(3) نفسه، ص12.
(4) نفسه، ص 15.
(5) نفسه، ص15.
(6) لسان العرب، مادة (حضر)

وتلفظ الحضارة بكسر الحاء وفتحها، وهي مشتقة من الفعل حضر، وحضر لغة ضد غاب، ومنه الحضر والحضارة، والحضارة بمعنى المدن والقرى والريف، وسميت بذلك لان أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار أي سكن وإقامة، وقد كانت الحضارة لغة تعني الإقامة في الحضر خلافاً للبادية، التي يمكن أن تكون قد اشتقت من الفعل المجرد " بدأ" ، أي برز وظهر، ثم أطلق اللفظ على المكان، وصارت تعني الإقامة خارج الحضر. (1)

والحضارة اصطلاحا:- قيل هي كل ما يرتبط بحياة الاستقرار عند الانسان من نظم سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية وفنية. (2)

تبدأ الحضارة حيث ينتهي الأضطراب والقلق، لانه اذا أمن الانسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الابداع والانشاء. (3)

وتبدأ الحضارة عندما يبدأ الاستقرار البشري. وبدأ استقرار الانسان عندما بدأ بالزراعة ، لان الزراعة تطلّبت منه الإقامة إلى موسم الحصاد وجني المحصول، حيث بدأ الانسان يتحول من حياة التحرك الدائم والتنقل والتوحش الى حياة الاستئناس والاستقرار. (4)

ومن العلماء الذين وقفوا عند مفهوم الحضارة وقفة متأنية ابن خلدون، فقد عالجها ضمن إطار الحديث عن العمران، وتفنن الإنسان وكلفه بالصنائع، وقد أشار إلى هذا المفهوم بقوله: " الحضارة هي التفنن في الترف واستجادة أمواله والكلف بالصنائع التي تُؤنّق من أصنافه وسائر فنون من الصنائع المهيئة للمطابخ أو الملابس أو المباني وغيرها. (5)

---

(1) الحضارة الإسلامية، محمد ضيف الله البطاينة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ-2002م. ص9.

(2) تاريخ الحضارة والنظم الإسلامية، محمد حسين المحاسنة ، ط1، 2001م ، ص15.

(3) قصة الحضارة ، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر ، 1961م، ج1، ص3.

(4) تاريخ الحضارة والنظم الإسلامية، ص17.

(5) مقدمة موسوعة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي. دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1999م، ص 465.

والحضـــارة العربـــية بـــدأت في العصور التي سبقت ظهور الإسلام بنحو عشـــرين قرناً، وتمتد جذورها تمتد عميقة في الجزيرة العربية إلى قرون موغلة في القدم.

وتعـــد مـــن حيـــث الأهمية مضاهية لحضارة الفراعنة وحضارة البابليين والأشـــوريين، وقد ساهمت في الحضارة الإنسانية ولم تكن في عزلة عن العالم، بل اتصـــلت بـــه عن طريق التجارة اتصالاً وثيقاً وأثرت فيه وتأثرت به، وشاركت في الحياة البشرية مادياً وروحياً. (1)

والـــناظر فـــي دراســـات المحدثين عن الحضارة يجدهم قد ذهبوا في تحديد دلالـــتها مذاهب شتّى، تميل في أغلبها الى ربطها بالاقتصاد من جانب وبالثقافة من جانـــبٍ آخر، ومن ذلك قول ول ديورانت:" الحضارة نظام اجتماعي يعين الانسان علـــى الـــزيادة مـــن إنتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصـــادية ، والنظم السياسية والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ من حيث ينتهي الاضطراب والقلق.

لأنـــه إذا أمن الإنسان من الخوف ينتهي الاضطراب والقلق وتحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء". (2)

وعلـــى هـــذا تكـــون الحضارة أنواعاً وأشكالاً مختلفة، فهناك حضارة بدوية وحضـــارة مدنـــية، كمـــا أن هناك حضارة زراعية، وحضارة صناعية، وحضارة بحرية ساحلية وحضارة سهلية داخلية أو جبلية وغيرها من أنواع الحضارة. (3)

ويُعـــد العصـــر الأمـــوي امـــتداداً للعصر الجاهلي من الناحية الحضارية والأدبية، فقد كان هناك تفاعل حضاري بين العصر الجاهلي والعصر الأموي.

وقـــد أتخـــذت التفاعلات الحضارية مظاهر عدة، تبدو واضحة في الحياة الاجتماعية، وذلك بنقل مظاهر الحياة في المجالس والملابس والاحتفالات والعادات وغيرها، وكان لا بد لهذه المظاهر من تفاعلها لترسخ وتصبح جزءاً من حضارة

---

(1) أصالة الحضارة العربية، ناجي معروف. مطبعة التضامن ، بغداد، ط2، ص17.

(2) قصة الحضارة، ول ديورانت، ص 3.

(3) الحضارة العربية الإسلامية، بدري محمد فهد وآخرون. ص5.

المجـتمع، وقـد قـام بـنقل المظاهـر الحضـارية المسـلمون الجدد من العرب والموالي(1).

لذلـك كثر في هذا المجتمع المتحضر المترف الشباب العاطل الذي يريد أن يقطع أوقات فراغه الطويل في لهو بريءِ، فوجد الرقيق الأجنبي ينهض بفن جديد، إذ عُنى بالغناء عناية بالغة، لكنه ما يزال في طور السذاجة.

وفـي هـذا الجو الرقيق الذي زخر بالغناء والمرح نهض الشعر في المدينة نهضـة واسعة وتعاونت على هذه النهضة عناصر كثيرة من الأنصار وممن هاجر إلـيهم مـن قـريش وغـيرهم ممـا تعَّرب في بلدانهم من الموالي وأبنائهم تعرباً تاماً. (2)

واكتظـت مكـة، كما اكتظت المدينة بالرقيق الأجنبي الذي نهض بحاجات أهلها في مطاعمهم ومشاربهم، وتوفير كل أدوات ترفهم.

وكـان مـن أهم ما نهض به الرقيق هو الغناء، فمجتمع مكة كان على غرار مجـتمع المديـنة حضـارة وتـرفاً ورفه وغناء وعزفاً كل ليلةٍ على أوتار العود والطنابير والالآت الموسيقية في كل لون.

ولكـن كـان أهم شاعر مكيّ تعلق بالهجاء والمديح عُبيد الله بن قيس الرقيات، وكـان أكثر شعره في الغزل وعلى غراره العرْجي، على ما كان عند عمر بن أبي ربيعة في مكة والأحوص في المدينة وذهب شعرهم جميعاً إلى التغني بقضية الحب وأحداثه ووقائعه.

وقـد طبع الشعراء في أثناء العصر الأموي بطوابع حضارية أثرت في الحس والشـعور. كمـا أثـرت فـي عمـل الشعر نفسه عن طريق فن الغناء ونظريته الجديدة. (3)

---

(1) التفاعلات الحضارية في فجر وضحى الاسلام، شحادة على الناطور ، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1 ،عمان، (1416هـ-1996م)، ص 57.

(2) العصر الإسلامي، ص140-142.

(3) العصر الإسلامي، ص 147.

3.1 الجواري ودورهنّ في علاقة المرأة بالرجل

أدى ازدهار الحضارة ورقيها في العصر الأموي إلى التفنن في أنواع العلاقات بين الرجال والنساء، فقد أصبح هناك نوع من الانفتاح والصراحة، صورها بعض شعراء الغزل، واتضحت مصورة بعض مظاهر الحياة الجديدة في العصر الأموي.

أما علاقة المرأة والرجل بالجواري، فتتضح من الدور الكبير في علاقات الحب والغرام، التي صورها الشعراء، فالجواري حلقة الوصل بين المحبين، ووسيلة اتصال بينهم، ومن خلالهن كان الشعراء يرسلون رسائلهم إلى محبوباتهم، وكذلك كانت الحبيبة ترسل جاريتها إلى صاحبها، لتحذيره أو لدعوته للقائها كما قد يقمن بدور الواسطة عند بعض الشعراء لإقناع صاحباتهم بالعطف عليهم[1].

وهذا العدد الكبير من السبايا والجواري، الذي وجد في العصر الأموي قد تحدّر من بلدان مختلفة ومن طبقات اجتماعية مختلفة، فكان من بينهن من كن اميرات أو بنات ملوك، أو بنات علماء، أو بنات غنى وثروة ونعيم، وكان منهن من كانت على مستوى راقٍ في العيش قبل سبيها وكان منهن من نالت حظوة عظيمة في عيني سيدها، بل ربما بلغت إحداهن أن تصل إلى الخليفة نفسه،فتسير الكثير من أمور الدولة، تولي وتعزل[2].

ومن الشعراء الذين أكثروا من تصوير دور الجواري عمر بن أبي ربيعة، فقد كان يرسل بعض جواريه إلى صاحبته لتوصل إليها سلامه، أو تعلمها ما عليه حالهُ من السهر والعذاب، وتتوسط له عندها، لتعطف عليه وإلاّ سيموت وجداً وكمداً من ذلك قوله:

فَبَعثْتُ جَارِيَتِيْ، فَقُلْتُ لَهَا: اذْهَبِيَ ... فَاشْكِي إليها ما علمتِ، وسلّمِي
قُولي: يقول: تحوّبي في عاشقٍ، ... كَلِفٍ بكم، حتى المماتِ متيَّم
فُكّي رهينَتَهُ، فإن لم تفعلي، ... فابكي على قتل ابن عمّكِ، واسلَمي

---

(1) عمر بن أبي ربيعة (حبه وشعره)، جبرائيل جبور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1971م، ج3، ص28.

(2) عمر بن أبي ربيعة (عصره)، جبرائيل جبور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1935، ج1، ص32

فَتَبَسَّمَتْ عَجَباً، وَقَالت: حَقُّهُ أَنْ لا يُعَلِّمَنا بما لم نَعْلَمِ(1)

كما أن عمر لم يقتصر في ذلك على الاستعانة بجارية واحدة، بل كان يستعين بأكثر من واحدة، وقد تعددت أسماء الجواري اللاتي ذكرهن عمر في شعره، فتارةً يكتفي بنسبها إليه وتارةً يذكر اسمها. فقد استعان بجارية اسمها البغوم، وقد رآها أحدهم، بعد أن صارت عجوزاً ، فقال –سبحان الله– ماذا تفعل الدنيا بأهلها، انظر كيف صارت، وما كان بمكة امرأة أجمل منها، وكانت هذه تغنّي عند عمر، هي وجارية أخرى اسمها أسماء(2)، ولم يكن دور الجاريتين واسطة للحبيبة فقط وإنما كانتا تمارسان ما يراد منهما من لقاء وغناء في مجالس خصصت لهن، يقول عمر:

صَرَمَتْ حَبْلَكَ البَغُومُ، وصَدَّتْ عنكَ، في غير ريبةٍ، أَسْمَاءُ
حَبَّذا أنتِ يا بَغُومُ وَأَسْمَا ءُ، وعِيْصٌ يَكُنُّنا وخَلاءُ
ولقد قلتُ لَيْلَةَ الجَزْلِ، لَمَّا أَخْضَلَتْ رَيْطَتِي عَلَيَّ السَّماءُ(3)

ولم يقتصر الاستعانة بالجواري على عمر فقط، بل إن كل الشعراء في ذلك العصر كانوا يستعينون بهن، وكانت كثرة الجواري ظاهرة اجتماعية بسبب الثراء والترف الذي انغمست به بعض العوائل والحواضر الإسلامية، وقد أصبح لهؤلاء الجواري المكانة الرفيعة، وكن أمناء على أسرار أولاد الخلفاء، ووسطاء بين العشاق، يصلحن حال البين فيما بين المتخاصمين(4)، وفي ذلك يقول العرجي:

تَوَكَّلْتُ وَاسْتَحْدَثْتُ رَأْياً مُبَارَكاً وَأَحْزَمُ هَذَا النَّاس مَنْ يَتَوَكَّلُ

---

(1) ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح يوسف فرحان، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص560، وانظر كتاب الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، (ت: 356هـ)، تحقيق إحسان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ، 2002م، ج1، ص111.

تحوّبي: تخوفي من الإثم، كلف: عاشق.

(2) الأغاني: ج1، ص123.

(3) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص18–19، وانظر الأغاني: ج1، ص123.

صرمت الحبل: قطعته، كناية عن قطع العلاقة، البغوم: اسم جارية، صدت: جفت، حبذا: كلمة مركبة من حب وذا اسم إشارة، تستعمل للاستحسان والمدح، يكن: يخبئ، العيص: الشجر الكثير الملتف، خلاء: انفراد.

الجزل: موضع قرب مكة، أخضلت: بللت، الريطة: الملاءة، الثوب الرقيق، السماء: المطر.

(4) مقدمة ديوان العرجي، شرحه وحققه سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص44

وَضَمَّنْتُ حَاجَاتِي إِلَيْهَا رَفِيقَةً   بها طَبَّةً مَيْمُونَةً حِيْنُ تُرْسَلُ
مِنْ البَرْبَرِيَّاتِ اللَّوَاتِيْ وُجُوهُهَا   بِكُلِّ فَعَالٍ صَالِحٍ تَتهلَّلُ(1)

فالعرجي يشير هنا كون جاريته مؤتمنة، خبيرة بما يريد ويهوى ويحدد جنسها، فهي من البربر ولكنها ذكية جميلة.

كما وصف العرجي الطريقة التي سلكتها الجارية لإنجاح مهمتها، يقول:

تَخِفُّ لِمَا نَهْوَى قَرَاراً، وَإِنَّهَا   عَنَ أَشْيَاءَ لَيْسَتْ مِنْ هوانا تَثَقَّلُ
فَقَالَتْ: فَلا تَعْجَلْ، كَفَيْتُكَ، مَرْحَباً   وللسِّرِّ عِنْدِي فاعْلَمَنْ ذاك مَحْمَلُ
تَغَشَّتْ ثِيَابَ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَأَطَّرَتْ   كَمَا اهْتَزَّ عِرْقٌ مِنْ قَنَا مُتَذَلِّلُ(2)

وهذا الرقيق الأجنبي المتدفق على الأرض العربية، تركز بشكل عام في الحجاز، حيث أرستقراطية العرب بدافع من بني أمية، وقد بدأ نجم الأعاجم يتألق منذ عهد هشام بن عبد الملك(3).

واستعان جميل عاشق بثينة ببعض الجواري، فقد أعطى خاتمه لجارية له، وسألها دفعه إلى بثينة، وأخذ موعد له معها، ففعلت الجارية وانصرفت من أجل إيصال الخاتم إلى بثينة، لكن أهل بثينة علموا بذلك، ومنعوا الجارية من إيصال الخاتم.
فجاءه بعض أصدقائه يحذرونه، بأن أهل بثينة،يتوعدونه، فأرسل راعية إليها، وقال قولي لها بعدم المجيء في تلك الليلة، فلم تخرج بثينة لزيارته، ورصدها أهلها، فلم تبرح مكانها، ومضوا يقتنصون أثره، فرأوا بعر ناقته، فعرفوا أنه قد فاتهم(4)، يقول جميل:

خَلِيلَيَّ عُوْجَا اليَوْمَ حتَّى تُسَلِّمَا   عَلَى عَذْبَةِ الأَنْيَابِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
أَلِمَّا بِهَا ثُمَّ اشْفَعَا لِيْ وَسَلِّمَا   عَلَيْهَا سَقَاهَا اللهُ مِنْ سُبُلِ القَطْرِ(5)

---

(1) العرجي، ص302، الحزم: التمسك بالرأي، الطب: الخبير العليم، البربر: من سكان أفريقيا، تتهلل: تشرق وتضيء.

(2) نفسه، ص303، تخف: تسرع، ستثقل: ستبطئ وتتلكأ في التنفيذ، كفيتك: أي سأكفيك ما أنت ساع إليه، المحمل: المستودع الأمين، أي السر الدفين، القنا: العذق من النخل.

(3) نفسه، ص44.

(4) الأغاني، ج8، ص80-81.

(5) شرح ديوان جميل بثينة، شرح وتحقيق عدنان زكي درويش، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994 ، ص86، وانظر الأغاني، ج8، ص81.

5.1 العتاب

إن ورود العتاب في شعر الغزل يصور جانباً من جوانب علاقة الشاعر بمحبوبته، فكثيراً ما يكثر العتاب بين الأحبة، فقد يعتب الحبيب على الحبيبة نتيجة هجرها له وصدودها عنه، والحبيبة أيضاً قد تعتب على حبيبها نتيجة عدم التزامه بموعد أو لقاء معها، وقد قيل: إن للحب آفات كثيرة، منها كثرة العتاب، والخضوع للحبيب والشكوى له والتذلل بين يديه[1]، قال ابن داوود في كتابه، الزهرة "إن كثرة العتب تضعف الحب"[2].

ويعد العتاب عند شعراء العصر الأموي من المظاهر الحضارية، فكثر العتاب في أشعارهم، فهذا كُثَّير صاحب عزة يعتب على الحبيبة؛ لأنه عندما يزورها، وقليلاً ما يزورها، لا تبدى له الترحيب، ولا يجد منها إلا التقطيب والعبوس ويطلب منها مصارحته بهذا، وهل هذا من قبيل الدلال والتمتع، أم أن هناك ذنوباً ارتكبها، ويطلب منها أن توضح حقيقة موقفها، يقول كُثَّير:

أَرَاكُمْ إِذَا مَا زُرْتُكُمْ -وَزِيَارَتِيْ ... قَلِيلٌ- يُرَى فِيكُمْ إِليّ قُطُوبُ
أَبِينِي... أَتَعْوِيلٌ عَلَيْنَا بِمَا أُرَى ... مِنَ الحبِّ، أَمْ عِنْدِي إِليك ذُنوبُ
أَبِيْنِي... فَإمَّا مُسْتَحَارٌ بِعِلّةٍ ... عَنيٍّ، وإِمَّا مُذْنِبٌ فَأَتُوْبُ[3]

كما كثر العتاب بين جميل وبثينة بعد هجر كان بينهما طالت مدته، فتعاتبا طويلاً، فقالت له: ويحك يا جميل؟ أتزعم أنك تهواني وأنت الذي تقول:

رَمَى اللهُ في عَيْنَي بُثَيْنَةَ بِالقَذَى ... وفي الغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا بِالقَوَادِحِ
رَمَتْنِيْ بِسَهْمٍ رِيْشُهُ الكُحْلُ لم يَضِر ... ظَوَاهِرَ جِلْدِي فَهُوَ في القَلْبِ جَارِحِي[4]

---

(1) الحب عند العرب، عادل كامل الآلوسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص358.

(2) الزهرة، (أبو بكر محمد الأصبهاني)، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، ط2، 1406هـ، 1985م، ج1، ص219.

(3) ديوان كثير عزة، شرح قدري مايو، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ، 1995م، ص49.

القطوب: العبوس والتقطيب.

التعويل: الدلالة والتمنع.

المستحار: الذي تسببت له الحيرة، العلة: السبب المصطنع.

(4) شرح ديوان جميل بثينة، ص47، وانظر الأغاني، ج8، ص76.

القذى: ما يؤذي العين من قش أو سواه، الغر: القوية النقية البياض، القوادح: ما يصيب الأسنان من تلف.

فأطرق طويلاً وهو يبكي، ثم قال: بل أنا القائل:

أَلا لَيْتَنِيْ أعْمَى أَصَمُّ تَقُوْدُنِي بُثَيْنَةُ لا يَخْفى عَلَيَّ كَلامُها[1]

فهذا يدل على أن جميلاً كان يلتقي بثينة، وإن كان لقاء متباعداً. والعتاب أيضاً كان بارزاً في شعر عمر فقد شكا من هجر نعم له، وصرمها إياه، وأنه يكاد يموت حزناً، كما كانت تعاتبه لأنه لم يُكَنِّ عن اسمها حين يذكرها في شعره[2]، يقول عمر:

أَمُوْتُ لهجرها حُزْناً ويَحْلُوْ عِنْدَهَا صَرْمي
فَبِئسَ ثَوابُ ذَاتِ الوُدّ (م) تَجْزِيهِ ابْنَةُ العَمّ
وَيَوْمَ الشَرْيِ قَدْ هاجَتْ دُمُــوعــاً وُكَّــفَ السَّـــجْمِ
وقالت لفتاة عندها (م) حـــوراءَ كـــالــــرّئم
أَهُو، يا أُخْتُ باللهِ (م) الذي لَمْ يَكْنِ عَنْ اسمي[3]

كما عاتبت الثريا عمر على حبه غيرها، وعدم صفحها عنه، وكانت تود قطيعته وهجرانه، بأسلوب فيه شيء من الدعابة والعبث، يقول عمر:

وَلَوَتْ رَأْسَها ضراراً وقَالَتْ، إِذْ رَأَتْني: اخْتَرْتَ ذَلِكَ أَنْتَا
حينَ آثرتَ بالمودَّةِ غيري، وتناسَيْتَ وَصلنا، أو مللْتَا
فحرامٌ عليكَ أَنْ لا تَنَالَ، الد هرَ، منّي غيرَ الذي كنتَ نِلْتَا! [4]

والحبيبة قد تلوم الحبيب على تأخره عنها، وهذا ما حصل بين عمر بن أبي ربيعة وصاحبته ليلى أيضاً، فقد أرسلت ليلى تلومه على تخلفه عن زيارتها، وتزعم أنه ملّ حبها، فأخذ يعتذر إليها أنه كان مريضاً، وأنه كان مرغماً على البقاء بعيداً عنها، فهو يعتب عليها لأنها لا تشعر به، ويرد عليها بأن الذنب ذنبها، وأنها بلومها

---

(1) السابق، ص47.

(2) عمر بن أبي ربيعة (حبه وشعره) ج3، ص218، 219.

(3) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص586.

صرمي: قطع العلاقة بي.

الشري: اسم موضع، وكسف السجم: كثيرة الأنهمار.

(4) نفسه، ص119، ضراراً: مخالفة، تعبيراً عن الاستنكار.

هذا تزيده ألماً على ألم، فهو يؤكد لها حبه، ويرجوها ألا تصرمه، إذ لا سرور له دونها، وفي ذلك يقول:

لَقَدْ أَرْسَلَتْ فِيْ السِّرِ ليلى تَلُوْمُنِي وَتَزْعُمُنِي ذَا مَلَّةٍ طَرَفاً جَلْدا

تقولُ: لَقَد أَخْلَفتَنا مَا وَعدتَنا، وباللهِ، ما أَخْلَفْتُهَا، طَائِعاً، وَعْدا[1]

وتشكّى العرجي من سلسلة المعاكسات التي لاقاها، وتذمر من الدهر وأهله، فانطوت نفسه على المكر والخداع، إذ حاول في غزله الكيدي أن يثأر لنفسه من الظروف السيئة التي أحاطت به، فكثيراً ما كان يلجأ إلى الاستعطاف في سبيل كسب ود صواحبه[2].

فالعتاب عنده ما هو إلا حياة المودة ومشاهد الوفاء، ولكنه قد يكون دافعاً لإحياء المودة والهوى ومحققاً للوفاء، يقول العرجي:

أَقُولُ لَهَا والعَيْنُ قَدِ فَاضَ دَمْعُهَا وَقَدْ كَانَ فِيهَا دَمْعُهَا قَدْ تَرَدَّدا

أَسَلاَّك عَنّي النَّأْيُ أَمْ عَاقَكِ العِدَى بِمَا اقْتَرَفُوْا أَمْ جِئْتِ صَرْمِي تَعَمُّدا

ولا تَحْسَبَنْ صَرْمَ الصَّدِيقِ مُرُوءَةً ولا نَائِلاً مَا عِشْتَ بالصَّرْمِ سُؤْدَدَا[3]

فأشعار العتاب هذه تعكس حقيقة لا بد من وجودها، وهو إمكانية لقاء الشاعر مع من يحب، وما عتابه للحبيبة إلاّضرب من الاحتجاج على عدم استمرار هذه العلاقة.

6.1 الكِبَرْ وَظُهُور الشيب

وهذه سنة الله في خلقه، إذ أعطى الله الصبا والشباب، ثم الشيب "ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قَوّةٍ ضَعْفاً وشَيْبَةً"[4].

---

(1) السابق،ص156.

(2) ديوان العرجي، ص113.

(3) نفسه، ص201، 202، النأي: البعد، الصرم: القطيعة.

المروءة: الفضيلة الكبرى.

السؤدد: المجد والعظمة.

(4) سورة الروم، الآية: 54.

"ولعل أشجى ما يمر بخاطر المرء، أن يهجره الغيد، بعد انصرام الشباب، والشباب هو شفيع الفتى إلى قلوب الحسان، فإذا قضى فقد أصبح بلا شفيع والويل للمفرد المغلوب"[1].

ومن أجل ذلك تفنن الشعراء في بكاء الشباب، والتنكر للمشيب، وإدراك محنته، ومنهم أهل العشق خاصة، فرثوا أنفسهم، حين زاغت عنهم الأبصار وانحسر المعجبون، حتى أصبح الشيب رادعاً للهو الشباب، يقول جرير:

أَتَصْحُو بَلْ فُؤادُكَ غَيْرُ صَاحِ عَشِيّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بالرَّوَاحِ
يَقُوْلُ العاذلاتُ: عَلاكَ شَيْبٌ، أهذا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مَرَاحي[2]

ويتمنى الحبيب أن تعود الأيام الجميلة، أيام الصفاء في الحب، والزمان الذي أعرض أن يعود أيضاً، يعود الحب القديم الصادق، الذي لم يكن به ما يعكر صفو اللقاء بين الأحبة، فيتمنى هذا المحب عودة الشباب بعد الكبر، لينعم بوصال الحبيبة ثانية، يقول جميل:

ألا لَيْتَ رَيْعَانَ الشَّبَابِ جَدِيْدٌ وَدَهْراً تَوَلى يَا بُثَيْنَ يَعُودُ
فنغنى كما كُنَّا نَكونُ، وأنْتُمُ قريبٌ وإذ ما تبذلين زَهِيْدُ[3]

ويعد الشيب من أهم الرموز للزمن المتغير الذي يزحف على الحياة ليحرقها، وينذر بالموت[4]، يقول كثير مشيراً إلى هذا الشيب الذي تنتهي إليه وبه الحياة.

أَجَدَّ الصِّبَا وَاللَّهوُ أنْ يَتَصرَّما وأن يُعَقِبَاكَ الشَّيْبُ والحِلْمُ مَنْهُما
لَبِسْتَ الصِّبَا واللّهو حتى إذا انقَضَى جَدِيْدُ الصِّبا واللّهو أعْرَضتَ عَنْهُمَا[5]

ويتراءى الشيب لجميل، ويحاول أن يدفعه عنه، ليتذكر أيام الشباب ولكن بدون فائدة، فيقول:

---

(1) مدامع العشاق، زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ط1، ص173.

(2) شرح ديوان جرير، إيليا الحاوي، الشركة العالمية للكتاب، ط2، ص155.

(3) شرح ديوان جميل بثينة، ص54، وانظر: الأغاني، ج8، ص75. نغنى: نعيش بسرور وسعادة.

(4) الحب والموت في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي، إبراهيم موسى سنجلاوي، ص144.

(5) ديوان كثير عزة، ص308.

لبست الصبا: عشت أيامه، أعرضت: أبديت استغناء وزهادة.

يتصرم: يتمضى ويذهب أوانها، يعقباك: يأتي بعدهما، الحلم: العقل.

تَقُولُ بُثَيْنَةُ لِمّا رَأَتْ ... فُنُوناً مِنَ الشَّعَرِ الأحْمَرِ
كَبِرْتَ جَمِيْلُ وَأَوْدَى الشَّبَابُ ... فَقُلْتُ: بُثَيْنَ ألاَ فَاقْصِرِي
أتَنْسِيْنَ أيّامَنَا بِاللِّوَى ... وَأيَّامَنَا بِذَوِي الأجْفَرِ
أمَا كُنْتِ أبْصَرْتِنِي مَرَّةً ... لَيَالِيَ نَحْنُ بِذَوِي جَوْهَرِ[1]

ثم يعكف الحبيب على أيامه الماضية، أيام شبابه وصباه، ويحاول أن يعيد صورة هذا الصبا، لبثينة مرة أخرى، فبثينة لا تزال في شبابها الجميل، فهي لؤلؤة جميلة في تاج الرئيس الفارسي، يقول جميل:

وَأَنتِ كَلُؤْلُؤةِ المَرْزُبَانِ ... بماء شَبَابِكِ لَمْ تُعْصَرِيْ
قَرِيْبَانِ مَرْبَعُنَا واحدُ ... فَكَيْفَ كَبِرْتُ وَلَمْ تَكْبَرِيْ[2]

فالعشاق العرب تحدثوا عن المشيب، وفيه قيلت أجمل الاستعارات، هذا الزائر المقيم، حيث لا يبرح مكانه، بل يسري ليغمر ما حوله بملاءته البيضاء الساكنة، مثل ضوء فجر لامع، حتى إذا وقف العاشق أمام معشوقته، وقد خضب رأسه بالحناء، تعرض لعبثها به مع أنها هي سبب هذا المشيب[3]، يقول جميل:

أَمْسَى الشَّبَابُ مُوَدَّعاً محمودا ... والشيبُ مُؤْتَنِقُ المَحلِّ جديد
وتغَيَّر البِيْضُ الأوانسُ بعدما ... حَمَّلْتُهُنَّ مواثقاً وعهودا[4]

كما أن الأخطل يتحسر ويندم على أيام الشباب، تلك الأيام التي نعم فيها بكل نعيم ولذة، اجتناها حينما كان شاباً، ثم يصرّح بلقائه بصاحباته وجلوسه معهن، واستخدام تعبير "فاستذكيت ناراً "للدلالة على مكوثه في مجلسهن، يقول:

أَلَمْ تَعْرِضْ فَتَسْأَلَ آلَ لَهْوٍ ... وَأَرْوَى وَالمَدْلِةَ والربابا
بأيَّامٍ خوالٍ صالحاتٍ ... ولذَّاتٍ تُذَكِّرُني الشَّبَابَا

---

(1) شرح ديوان جميل بثينة، ص90-91.

أودى الشباب: ولى وانقضى، أقصر عنه: أقلع، ذو جوهر: اسم مكان.

(2) نفسه، ص91.

المرزبان: كلمة فارسية معناها الرئيس، أعصرت المرأة: ناهزت العشرين سناً.

(3) الحب عند العرب، ص365.

(4) الأغاني، ج8، ص112.

نزلتُ بهنَّ فاستذكيتُ ناراً قليلاً ثُمَّ أسْرَعْنَ الذهابا[1]

"فالشيب دليل على غروب عصر الحب، كما أنه يقود صاحبه إلى ركن الاستسلام للقدر، فليس ثمة إلا العودة إلى كبر النفس، تلك الحكمة البدوية عند العرب، فالإنسان الأطول عمراً، أكثر حكمة وأرجح عقلاً وأمام هذه الحكمة يعود العاشق إلى نفسه ويحاكمها، ويقنعها بأن التصابي لا يليق بإنسان كبير، حتى وإن أثارت فيه رؤية الأطلال وإلحاح الذكريات شعوراً بعودة الشباب"[2].

وجرير أيضاً بكى من الشيب الذي علا رأسه، وقد أخذت النساء يعبن عليه شيبه ، بعد أن كان شعره داجياً كالليل، مجعداً، متداخلاً لا يفرق إلا بالمشط، يقول:

يَعِيْب الغَوَاني شَيْبَ رَأسَي بَعْدَمَا يُفَرِّقْنَ بالمدراةِ داجيةً جَعْدَا[3]

7.1 الهجر

وإذا كان الشعراء قد ذكروا لقاءهم بمن أحبوا فإنهم ذكروا الهجر وهو صورة مضادة للقاء، وجانب من جوانب علاقة المرأة بالرجل. والهجر، ورد في أغلب شعر شعراء العصر الأموي، بكونه الحبيب، وذلك تجنباً لأعين الوشاة والرقباء، أو نتيجة التدلل على الحبيب، أو لعتب الحبيبة على حبيبها، وقد يحصل العكس أي الحبيب يهجر الحبيبة ويبتعد عنها، وهذا الهجر قد تطول مدته، مما يؤدي إلى شدة الصبابة والألم بين الأحبة، واشتعال الشوق، ولكن بعد ذلك يعودان إلى بعضهما ويتصالحان وكأن شيئاً لم يكن.

وهذا الهجر الذي يكون بين الأحبة على أنواع مختلفة، كما ذكر ابن حزم "فأولها هجر يوجبه تحفظ من رقيب حاضر، وإنه لأحلى من كل وصل، ثم هجر يوجبه التدلل وهو ألذّ من كثير الوصال، ثم هجر يوجبه العتاب لذنب يقع من

---

(1) شعر الأخطل (أبي مالك غياث بن غوث التغلبي)، صنعة السكري، تحقيق فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 1391هـ، 1971م، ج1، ص325.

لهو وأردى والمدلة والرباب: أسماء نساء.

الخوالي: الماضيات، استذكر: أوقد.

(2) الحب عند العرب، ص365.

(3) شرح ديوان جرير، ص166.

المحب، لكن فرحة الرجوع وسرور الرضا يعدل ما مضى، فإن لرضا المحبوب بعد سخطه لذة في القلب لا تعادلها لذة"[1].

فهذا عمر وقد هجرته الحبيبة، وتألم كثيراً من جراء هذا الهجر فلياليه أصبحت طويلة، كما أن النوم قد بعد عن عينيه، يقول:

أَقُولُ لأسماءَ اشتكاءً، ولا أُرى، ... على إثرِ شيءٍ قد تفاوتَ، مُجْزَعا
أَلَمْ تعلمي، يا أسمَ، أني مُغَاضِبٌ ... أحبَّ جميعِ الناس، لو جُمّعوا معا؟
وأَنَّ اللّيالي طُلْنَ منذ هجرتِني؟ ... وكُنّ قصارا قبل أن تتصدَّعا
وأنْ لم نَزَلْ منذُ اهتجرنا كأنّني ... مُعادِ فراشي، ما أُلايِمُ مَضْجَعَا[2]

ومجنون ليلى قد هجرته الحبيبة، وهو لا يعرف لماذا هجرته، وما هي الطريقة التي يتبعها من أجل إصلاحها، فهي قد سببت له الحيرة والاضطراب. أيقطع علاقته بها، وإن فعل ذلك فإنه سيموت، أم يهرب بعيداً ولا يدري به أحد، يقول:

وَوَاللهِ مَا أَدْرِيْ عَلامَ هَجَرْتِنِي ... وَأَيَّ أُمُوْرِي فِيْكِ يا لَيْلَ أَرْكَبُ
أَأَقْطَعُ حَبْلَ الوَصْلِ، فَالمَوْتُ دُوْنَهُ ... أَمَ أَشْرَبُ كَأساً مِنْكُمُ لَيْسَ يُشْرَبُ
أَمَ اهْرُبُ حتَّى لا أرَى لي مُجَاوِراً ... أَمَ أَفْعَلُ مَاذَا؟ أم أَبُوحُ فَأُغْلَبُ[3]

والوصل الذي يكون بين الأحبة، قد يعقبه هجر، فيجزع الحبيب لذلك أشد الجزع، من جراء هذا الهجر، فعدي بن الرقاع قد هجرته الحبيبة بعد طول الوصل والحب الذي كان بينهما، ومع كل هذا فقد كان يشبهها لجمالها وزينتها بالمهاة أو الظبية، يقول:

بَانَتْ حُسينة وانتَمَّتْ بِمَنْ بانا ... واستحدثت لك بَعْدَ الوَصل هِجْرانا
وما حُسَيْنَةُ إِذْ قَامَتْ تُوَدِّعُنَا ... للبين واعتَقَدَتْ شَذْرًا ومُرْجَانا

(1) طوق الحمامة في الألفة والآلاف، ابن حزم الأندلسي، (أبو محمد علي بن محمد الظاهري)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص85.

(2) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص365-366، أسماء: اسم الحبيبة، مجزع: فاقد الصبر.
أسم: تصغير أسماء وترخيم اسمها.
تتصدع: تتفرق.

(3) ديوان مجنون ليلى، ص17، اركب: أتبع.

إلا مَهَاةُ صَرِيْمٍ حُرَّةٌ خَذَلَتْ مِنْ وَحْشِ أعقَرَ أوْ مِنْ وحشِ نيانا

أو ظَبْيَةٌ مِنْ ظباءِ الحُوَّةِ انتقلت مذانباً فجرَّتْ نبتاً وَحجرَانا[1]

وقد اعترى الحبيب الهجر وأصابه الذهول، بعد هجر الحبيبة له، فتغيرت حاله، فالقلب أصابه السقم والجروح، ثم يعود إلى وصفها، فهي عفيفة حرة، لا يمكن لأحد أن يقترب منها، يقول الأخطل في ذلك:

بَانَت سُعَادُ، ففي العينين مَلْمُوْلُ محت حُبَّها، وصحيحُ الجسم مخبولُ

فالقلب، من حُبِّها، يعتاده سَقَمٌ عادت نواشط منها، فهو مكبول

مرفوعة، عن عيون النّاس، في غُرَفٍ لا يَطْمَعُ الشحط، فيها والتنابيلُ[2]

والهجر قد يطول بين الأحبة، فهذا جرير قد طال الهجر بينه وبين الحبيبة ثلاث سنين، مما جعل الصدود يطول بينهما، يقول:

أَلَمْ يَكُ فِيْ ثَلاثِ سنينَ هَجْرٌ، فَقَدْ طَالَ التَّجنُّبُ والصدُودُ[3]

وكانت المرأة أحياناً تبدي وتصد، تقترب وتبتعد عن الحبيب وقتما أرادت ذلك، فهذه الحبيبة قد هجرت الحبيب بعد الوصل الذي كان بينهما، وبعدت عنه بعدما كانت تتدلل عليه، فهذا البعد، أصبح كالضرار للرجال، يقول المتوكل الليثي:

صَرَمَتْكَ رَيْطَةُ بَعْدَ طُولِ وصالِ وَنَأَتْكَ بَعْدَ تَقَتُّلٍ وَدَلالِ

عَلِقَ الفُؤَادُ بذكر رَيْطَةَ إنَّهُ شُغُلٌ أُتِيْحَ لَنَا مِن الأشْغَالِ

أسديَّةٌ قَذَفَتْ بِهَا عَنْكَ النَّوَى إنَّ النَّوَى ضرّارةٌ لرجالِ[4]

---

(1) ديوان عدي بن الرقاع العاملي، تحقيق نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1407هـ/1987م، ص168.

ائتمت: أي صيرته إماماً لها تفعل مثل فعله. المرجان: صغار اللؤلؤ

الصريم: جمع صريمة، وهي رملة تنقطع من معظم الرمل.

(2) شعر الأخطل، ج1، ص38.

(3) شرح ديوان جرير، ص172.

(4) ديوان المتوكل الليثي، تحقيق يحيى الجبوري، الناشر مكتبة الأندلسي، بغداد، ص161، 162.

الصرم: القطيعة والهجر، نأتك: بعدت عنك، التقتل: الدلال، ريطة: حبيبة.

علق بها: هويها، أتيح لنا: قدر لنا وكتب علينا. أسدية: نسبة إلى بني أسد.

وهذا الهجر الذي تقوم به المرأة له تأثير كبير على نفسية المحب، فربما تقوم بهذا الصد والنوى بغير أي سبب، مما يولد لدى الحبيب الحزن والهم، وقد يصل به هذا البعد والهجر إلى درجة الموت، وقد أشار الفرزدق إلى هجر حبيبته له وصدودها عنه، يقول:

وَلَجَّ بِكَ الهِجْرَانُ، حَتَّى كَأَنَّمَا　　تَرَى المَوْتَ في البيت الذي كُنْتَ تَيْلَفُ
لَجَاجَةُ صَرْمٍ لَيْسَ بِالوَصْلِ، إِنَّمَا　　أَخُو الوَصْلِ مَنْ يَدْنُو وَمَنْ يَتَلَطَّفُ(1)

وكانت المرأة المحبوبة ذات تأثير عميق في قلب الرجل، يحبها ما وسعه الحب، ولا يطيق أن تهجره، وتبتعد عنه، فعبيد الله بن قيس الرقيات، يطلب من المحبوبة أن لا تهجره وتعطيه الأماني بوصلها، حتى لو ماطلته وفي ذلك يقول:

رُقَيَّ بِعَمْرِكُمْ لا تَهْجُرِينَا　　وَمَنِّينَا المُنَى ثُمَّ أَمْطُلِينَا
عدينا في غدٍ ما شِئْتِ، إنَّا　　نُحِبُّ وَلَوْ مَطَلْتِ الوَاعِدِينَا
فَإِمَّا تنجزي عِدَتي، وإما نعيش　　بما نُؤَمِّلُ فيْكِ حينا(2)

ومثلما تهجر المرأة الرجل وتصد عنه، فهو كذلك يهجرها ويصد عنها، ولكنه قد يكون مرغماً في ذلك.

فعمر قد هجرته المرأة وصدّت عنه، وهو كذلك هجرها، وكان يجد في الهجر لذة، لأنه يعبر عما يريد عن تيه ودلال وإعجاب بنفسه، كما تعجب المرأة المعشوقة بدلالها(3).

فيعلن بأنه هو الذي يهجر وهو الذي ينأى ويصد، وهو الذي يقرح الجفون، ويكمد القلوب، يقول عمر:

قَالت لقيمِّها وأَذْرَتْ عَبْرَةً　　مَالي ومالك يا أبا الخطَّاب
أَطْعمتني حتى إذا أوردتني　　حَلأتّني لَمْ أستتمَّ شرابي(4)

---

(1) ديوان الفرزدق، علي الفاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ، 1987م، ص383.

(2) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1387هـ-1958م.ص177.

(3) التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط2، ص249.

(4) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص87.

كما أشار قيس إلى أنه هجر لبنى، لكنه كان مرغماً، على هجرها، وفي قلبه جروح مؤلمة، يقول:

وَأَهْجُرُكُمْ هَجْرَ البَغِيضِ وَحُبُّكُمْ   عَلَى كَبدي مِنْهُ كُلُومٌ صَوَادِعُ
فَوَاكبدِي مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ والأسَى   وَوَاكَبِدي إِنِّي إِلَى اللهِ رَاجِعُ
وأشفِق مِنْ هِجْرَانِكم وتَرُدُني   مَخَافَةُ وَشْكَ البين والشَّمْلُ جَامِعُ[1]

8.1 الطيف والخيال

لقد كثر ذكر الطيف ولقاء المحبين في الليل، والطيف هو لقاء الأرواح عندما تجنح الأنفس إلى النوم، يقول صاحب تزيين الأسواق عن الطيف وخيال المحبوب: "وهو أمر مهم عند أهل الغرام، يتوصل إليه بالمنام، وإنما تدعو الحاجة إليه عند طول الهجر، وشدة الضجر، ومقاساة نار الليل والسهر"[2]، وهو تصوير لجانب من جوانب علاقة المرأة بالرجل، فاللقاء قد يتعذر والهجر قد يطول ولا يجد الشاعر للقاء إلا الخيال.

ومراودة طيف الحبيب شاع عند أكثر شعراء العصر الأموي لأن الشاعر المحب، عدَّ الطيف نوعاً من التعبير عن الانفعالات النفسية، وخاصة بعد أن يكون هناك هجر وقطع بين الأحبة، فلا يكون لقاء بينهما إلا عن طريق الخيال ومراودة الطيف.

ومن شعراء العصر الأموي الذي ذكر مراودة طيف الحبيبة له الأخطل، الذي أوضح شعوره الداخلي تجاه الحبيبة، والتي ما فتئت تدور بخلده، وتسري في خياله، حتى ليبدو خيالها ماثلاً أمامه، لكنه لم يعد يدري أهو حقيقة، أم طيفها الذي زاره قبيل انبثاق الفجر، وعادت تقبل عليه وتتعرض له بعد أن كانت قد حرمته وقطعت وصاله، يقول الأخطل:

كَذبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رأيْتَ بِوَاسِطٍ   غَلَسَ الظَّلام مِنْ الرَّبابِ خيالا

---

(1) شرح ديوان قيس لبنى، شرح راجي الأسمر، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص45، وانظر الأغاني، ج9، ص161.

الكلوم: جمع كلم، وهو الجرح، الصوادع: المؤلمة والمفرقة.

(2) تزيين الأسواق بتفضيل أحوال العشاق، داوود الانطاكي، المطبعة البهية المصرية، ج2،ص50.

وَتَعَرَّضَتْ لَكَ بَالأَبَاطِحِ بَعْدَمَا   قَطَعَتْ بِأَبْرَقَ خُلَّةً وَوِصَالا[1]

وجرير يتساءل عن أمر طيف حبيبته الذي يزوره في الفلاة، وقد شعثهم السفر وأصابهم العياء، وكأنهم يرزحون تحت القيود، ويتمنى أن تعود الحبيبة، لكنه يخشى عليها من أهوال السفر، يقول:

أَحَقٌّ أَمْ خَيَالُكَ زَارَ شُعْثاً   وأَطْلاحاً جَوَانِحَ بالقُيُوْدِ
فَلَوْلا بُعْدُ مَطْلَبِنَا عَلَيْكُمْ   وأَهْوَالُ الفَلاةِ لَقُلْتُ عُودِي[2]

وصور عمر في أشعاره أن قلبه قد تيمه الحب، وقد قال الأشعار وقلبه يلتهب حباً، ويؤكد حفاظه للعهد، بعاطفة صادقة، فقد كان طيف الحبيبة يراوده، ويخطر بباله وهو بعيد عن شخصها، يقول عمر:

ألا يا بَكْرُ قد طرقا   خيالٌ هَاجَ لي الرُّفقا
أجاز البِيْدَ مُعْتَرِضاً   فعرضَ الوادِ فالشقَّقا
لهندٍ إنَّ ذَكْرَتَها   تَرَى مِنْ شيمتي خُلُقَا
بأنَّ لها حديثَ النفسِ   والأَشْعَارَ إنْ نطقا[3]

وأشار المتوكل الليثي إلى مراودة طيف الحبيبة، وأن حبه لها كان قوياً قد دخل شغاف قلبه، يقول:

طَرَقَتْ حُبَيْسة وَهِيَ فيهم مُوهِناً   إنَّ المُحِبَّ مُخَالِطُ الأَهْوال
لَمْ تَسْرِ حُبَيْسة إذْ سَرَتْ   إلا لتشغفنا بطيفِ خيال[4]

وهذا كُثَيِّر يشير إلى أن الحبيبة قد زارته زيارة ليلية، بطيفها المجانب وقد تفاجأ من تلك الزيارة، وحين طرقته بزيارتها، كان قد بلغ شجر الأراك في سفره، فهو هنا يلجأ إلى نوع من التصوير، وذلك من أجل الإيضاح، يقول:

---

(1) الغزل في شعر الأخطل (مقوماته، مضامينه، خصائصه)، محمد عارف محمود حسين المطبعة المصرية، ج 2، ص50، واسط: قرية غربي الفرات مقابل الرقة.

(2) شرح ديوان جرير، ص142.

(3) الأغاني، ج1، ص85.

(4) ديوان المتوكل الليثي، ص181، طرقت حبيسة: جاء خيالها في المنام ليلاً، والطارق: المسافر الذي يأتي القوم ليلاً لتشغفنا: توقعنا حبها، وشغفته بحبها: أي دخل حبها تحت الشغاف.

ألا طَرَقَتْ بَعْدَ العِشَاءِ جَنُوبُ وذلك مِنْها -إنْ عَجِبْتَ- عَجيبُ
تَسَدَّتْ وَمَرَّ دوننا وأراكُهُ ودُورانُ أَمْسَى دُونَها ونَقيبُ(1)

والطيف تعويض لما يفتقده العاشق، وتحقيق للقاء في صورة حلم، وهو إشباع خيالي، أو تمثيل وجداني لعملية اللقاء(2).

ومجنون ليلى عندما أتاه طيف الحبيبة، أوشكت نفسه أن تزهق بسببه فقد زاره بعد طول عتاب وبُعْد، وأراد عتابه، يقول:

أتاني خيالٌ مِنْكِ يَا لَيْلَ زَائِرُ فَكَادَتْ لَهُ نَفْسِي الغَدَاةَ تَزُولُ
خيالٌ لليلى زارني بَعْدَ هَجْرِهِ ورام عتابي والعتابُ يطولُ(3)

والطيف قد يكون مرافقاً للحبيب ولا يفارقه، فطيف صاحبة قيس قد زاره ليلاً، فأبعد عن جفنيه النوم، ومن شدة الشوق أخذ قيس يذرف الدموع الغزيرة، يقول:

قَدْ زَارَنِي طَيْفُكُمْ لَيْلاً فَأَرَقَنِي فَبِتُّ للشوق أُذْرِي الدَّمْعَ تَهْتَانَا
إنْ تَصرِمِي الحَبْلَ أَوْ تُمْسِي مُفَارِقَةً فَالدَّهْرُ يُحْدِثُ للإِنْسَانِ أَلْوَانَا(4)

فهذا الحبيب الذي نأت عنه الحبيبة، أو نأى عنها، لا يفتأ يذكرها ويتذكرها ويتمثلها في حلّه وترحاله، ويقظته ومنامه، ولقد يسعده طيفها في حلمه، فإذا صحا لم يجد إلا نفسه(5).

وعروة بن أُذينة، زاره طيف الحبيبة وخيالها، وكانت قد هجرته وصدته وقاطعته ، يقول:

(1) ديوان كثير عزة، ص47، طرقت: أتت ليلاً، جنوب: طيف الحبيبة المجانبة، تسدى: أخذ السدة علواً، الأراك: نوع من الشجر.

(2) الحب والموت في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي، ص185.

(3) ديوان مجنون ليلى، ص153.

(4) شرح ديوان قيس لبنى، ص67.

أرقني: منعني من النوم

أذري الدمع: اسقطه

التهتان: الأنصباب

أن تصرمي الحبل: أن تقطعي صلتك بي

(5) الغزل في العصر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، دار القلم ، بيروت . لبنان، ص97.

سَرَى لَكَ طَيْفٌ زَارَ مِن أُمِّ عاصِمٍ فَأَحْبِبْ به من زَوْرٍ جافٍ مُصَارِمِ[1]

والطيف أحياناً قد يكون الغاية التي ينتظرها الحبيب، ويطرب لها قلبه، وذلك للبعد الذي يكون بين الأحبة، وهذا ما أشار إليه وضّاح اليمن، إذ يقول:

طَرِبَ الفُؤاد لطيفِ روضة غايتي والقومُ بين أباطح وعشاش
أنِّي أهتديت ودون أرضك سَبسَبٌ قَفْرٌ وحزنٌ في دُجَى ورشاشِ[2]

فكثرة طيف الحبيبة وزيارته للشاعر يصور جانباً من جوانب الحياة الحضرية في العصر الأموي، لأن مجرد تصريح الشاعر بزيارة الطيف له، دليل على وجود نوع من العلاقات والزيارات بين الأحبة وشعراء الغزل خاصة.

9.1 الكنى والألقاب

والشعراء أحياناً يلجؤون إلى عدم التصريح باسم المحبوبة، والاستعاضة عن ذلك بالكنى والألقاب، وذلك خوفاً من الوشاة والحساد، أو من أجل الحفاظ على سمعة الحبيبة وعفتها، أو خشية من الأهل.

فعمر كان يتحاشى التصريح باسم الحبيبة. في أول عهده، خشية من أهله وأهلها، أو ضناً بسمعتها، فكان يكنى عن اسمها بأسماء أخرى شعرية أو بكنى أو ألقاب، ولكنه لم ير بأساً في بعض الحالات في أن يصرح باسمها، مقروناً ببعض الكنى أو الألقاب أو الأسماء[3].

يقول عمر:

هَيْهَاتَ من أُمَةِ الوَهَابِ مَنْزِلُنَا إذَا حَلَلنا بسيفِ البحر من عدنِ[4]

كما أنه لم يصرح باسم محبوبته الثريا، لكن القرائن كانت تدل على أن الشعر كان فيها، يقول:

---

(1) ديوان عروة بن أذينة، تحقيق يحيى جبوري، مكتبة الأندلس،بغداد، ص229.
(2) الأغاني،ج6، ص153.
(3) عمر بن أبي ربيعة (حبه وشعره)، ج3، ص47.
(4) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص635.
أمة الوهاب: جارية الوهاب، سيف البحر: حده، عدن: اسم منطقة.

بِاللهِ يا ظَبْيَ بني الحارثِ هَلْ مَنْ وَفَى بالعهدِ كالناكَثِ[1]

أما كُثَّير فقد كنى عن اسم المحبوبة، باسم آخر هو سعدى، ودعا لها بالسقيا وكأنه السحاب المغدق، لترتوي به ولتحفل به الآبار والمشارب، كما أنه دائم التذكر لهذه الحبيبة، يقول:

وَهَبْتُ لسُعْدَى مَاءَهُ وَنَبَاتَهُ كَمَا كُلُّ ذي وِدٍّ لِمَنْ وَدَّ وَاهِبُ
لَتُرْوَى بِهِ سُعْدَى و يُرْوَى مَحَلَّها وتُغْدِقُ أعدادٌ بِهِ ومَشَارِبُ
تَذَكَّرتُ سُعْدَى وَالمطيُّ كَأَنَّهُ بآكَامِ ذي رَيْطِ غِطَاطٌ قَوَارِبُ[2]

وأيضاً مجنون ليلى لم يصرح باسم الحبيبة، وكنى عنها بأم بكر، يقول:

لَقَدْ شَغفتني أمُّ بَكْرٍ وَبَغَّضتْ إليَّ نِسَاءً مَا لَهُنَّ ذُنُوبُ
أَرَاكَ مِنَ الضَّرْبِ الذي يَجْمَعُ الهَوَى وَدُونَكَ نسوان لَهُنَّ ضروبُ
وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ اليَوْمِ أَحْسَبُ أنني ذلولٌ بأيام الفراق أديب[3]

10.1 الحوار

يصور الحوار في شعر الغزل بعض جوانب الحياة الاجتماعية في العصر الأموي حيث أصبح هذا الحوار، صفة الخطاب بين الحبيبين، وهذا يدل على ما وصلت إليه الحياة الاجتماعية في العصر الأموي من تقدم وتحضر.

وهناك من الشعراء من كان الحوار واضحاً في شعره، ومن هؤلاء، وضّاح اليمن، لكن صيغة الحوار تختلف، فقد يكون هذا الحوار مع الجيران، أو في التحاور مع الحبيبة في الخوف من أبيها عندما يأتي لزيارتها الحبيب، أو في انتهاز الفرصة،

---

(1) السابق، ص127، الناكث: الذي يغير العهد ويخونه.

(2) ديوان كثير عزة، ص43، سعد: اسم لامرأة لعله كنى به عن عزة، وعزة محبوبة الشاعر، ومعنى اسمها: ابنة الظبية.

لتروى: ترتوي. الأعداد: جمع عد وهو ما يستقى منه.

أمام: جمع أئمة وهي الهضبة، ذوريط: اسم مكان، القطاط: ضرب من الطيور كالقطا، القوارب: الواردة على الماء.

(3) ديوان مجنون ليلى، ص30، أم بكر، كنية ليلى: الضرب: النوع.

أو في التحاور إلى ما يحيط بها من أعداء أو حساد، يقول وضّاح في مخاطبة الحبيبة روضة:

يَا روضُ جيرانكم الباكرُ ... فالقلبُ لالاهِ ولا صابرُ
قالت ألالا تَلِجَنْ دَارَنَا ... إنَّ أبَانَا رَجُلٌ غَائِرُ
قُلْت فَإنّي طالبٌ غِرّةً ... منه وسَيْفي صَارِمٌ باترُ
قالت فإن القَصْرَ مِنْ دُونِنا ... قلتُ فَإِنّي فوقه ظاهرُ
قالت فإنَّ البَحْرَ مِنْ دُونِنَا ... قلت فَإِنّي سَابِحٌ ماهرُ
قالت فَحَولِي إخوةٌ سَبْعَةٌ ... قلت فإني غالبٌ قاهرُ
قالت فليثٌ رابضٌ بيننا ... قلت فإنّي أسدٌ عافرُ
قالت فإن الله من فوقنا ... قلت فربيٌ راحمٌ غافرُ
قالت لقد أعييتنا حُجَّةً ... فَأْتِ إذا ما هَجَعَ السامرُ
فاسقُط علينا كسقوط النَّدى ... لَيْلَةً لا ناه، ولا زاجرُ(1)

وكان الحوار واضحاً أيضاً في شعر عمر، الذي يوشك أن يكون طابعاً مميزاً في أسلوبه، وخصيصة من خصائصه، وقد ترك الحوار أثره في شعره ، فأضفى عليه كثيراً من الحيوية، ووهبة حركة سريعة لبقة(2).

والحوار عند عمر يأتي أثراً من آثار حادثة يقصها، أو ذكريات ينشرها أو حكاية يرويها، فعمر لا يضع حواره على طريقة الشعراء الآخرين في هذا الأسلوب السردي الجاف، وإنما هو يطريه بهذا الحوار ويهبه قدراً من الليونة، من أجل أن يعبّر عما يجول بخاطره (3)، يقول عمر:

قالت لتربٍ لها تُحدثُها: ... لَتُفسِدَنّ الطّواف في عَمر
قومي تصدّي له ليُبْصِرَنا ... ثمّ أغمُزيه، يا أُخْتُ، فِي خَفر

(1) ديوان وضاح اليمن، شرح محمد خير البقاعي، دار صادر، بيروت، تأليف محمد بهجت الأثري، وأحمد حسن الزيات، ط1، 1996، ص46-47، وانظر الأغاني: ج6، ص152.

(2) عمر بن أبي ربيعة (حبه وشعره)، ج3، ص452.

(3) عمر بن أبي ربيعة زعيم الغزل العربي، محمود حسن عبد ربه، دار الشروق، جدة، 1399هـ، 1979م، ص35.

قالت لها قد غمزتُه فأبى، ثم أسطبرتْ تسعى على أثري[1]

وظهر الحوار أيضاً عند جميل، فقد استخدمه في التحاور بينه وبين بثينة، من أجل إصلاح الخلاف الذي كان بينهما: يقول جميل:

وَقُلتُ لها: اَعتَلَلْتِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ فَقَالَتْ: ابتغي حَكَماً مِن اهلَي

وَقُلْتُ لها: قُتِلت بِغَيْرِ جُرْمٍ فقالت: إنَّ ذَا كَذِبٌ وَبُطلُ

فقال أميرنا: هَاتُوا شُهُوْدا فَقُلْتُ: شَهِيْدُنَا المَلِكُ الجَلِيْلُ

فَقَالَ: يَمِيْنَها وبِذَاكَ أقْضِي فقلت لها: وقد غُلب التَعَزِّي

فقالتْ: ثم زجّتْ حَاجِبَيْهَا أَطَلْتَ وَلَسْتَ في شَيْءٍ تُطِيْلُ[2]

11.1 الفراق والرحيل

الفراق جحيم لا يطيقه المحب، لأن القرب يحييه، سواء أكان يسعد باللقاء أو يأمل أن يسعد به، ولأن هناك شبه استحالة للقاء بعد الفراق فالقلوب قد أكلمت، والنفوس قد تألمت، لهذا الفراق، فالحب أصبح ينذي حرارة قلب المحب، وإن لم يأمل أن يلقى محبوبته، ويكفيه أن يحيا بقربها، يتنفس من الجو الذي تعطره بأنفاسها[3].

ويقول صاحب طوق الحمامة "إن رحيل المحب أو المحبوب، من المناظر الهائلة، والمواقف الصعبة، التي تفتضح فيها هزيمةُ، كلِّ ماضي العزائم وتذهب قوة كل ذي بصيرة، وتسكب عين كل جمود، ويظهر مكنون الجوى... وإن حركة

---

(1) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص271، ترب: رفيقة من عمرها.

خفر: حياء ودلال.

أسطبرت: أسرعت.

(2) شرح ديوان جميل بثينة، ص154، 155، انظر الأغاني: ج8، ص98.

اعتللت: تعللت، اعتذرت لعلة أو سبب.

الصب: العاقبة، وبيل: وخيم.

زجت حاجبيها: مدتهما، وقربت ما بينهما استنكاراً وغضباً.

(3) الغزل في العصر الجاهلي، ص312.

الرأس وإدمان النظر والزفرة، بعد الوداع، لهاتكةُ حجاب القلب وموصلة إليه الكثير من الجزع"[1].

وقد عانى الشعراء من فراق الحبيبات ورحيلهن، فكثيراً ما ترحل الحبيبة وتترك الحبيب يعاني زفرات الحب والألم جراء هذا الرحيل، فلم يبقَ إلا أطلال الحبيبة الدارسة، وقد يكون لهذا الفراق والرحيل أسباب كثيرة منها الجفاف الذي يقضي على الحب، بأكثر من وسيلة، فهو يتسبب في هجر الأهل والعشائر سعياً وراء إقامة أكثر خصوبة.

أمام هذا الجفاف الذي يؤدي إلى الفراق والرحيل، تتكسر القدرة على الحب فلا يبقى للمحبين سوى الزفرات الحارقة والذكريات التي لا يملك الإنسان إزاءها شيئاً كثيراً[2].

فهذا الأخطل قد عانى مرارة الفراق بسبب الجفاف الذي حل بديار الحبيبة ورحيل أهلها إلى بلاد أخرى، حيث الكلأ والمرعى والماء، وتظهر الزفرات والآهات التي عانى منها الحبيب، فأصبحت الديار رواسم لم يبق منها غير موضع الحطب وموقد النار، يقول:

أتعرفُ من أسماء بالجُدِّ رَوْسَمَا ... مُحِيلا، ونُؤْيا دارساً، قد تَهَدّمَا

وموضع أحِطاب، تحمل أهْلُه ... ومَوْقِد نارٍ، كالحمامة، أسْحَمَا

على آجنٍ أبْقَتْ لَهُ الرّيحُ دِمْنَة ... وَحَوْضاً كأُدْحيّ النَّعامة، أثْلَمَا[3]

وذو الرّمة أيضاً يشكو لوعة الفراق، فحبيبته قد رحلت عن الديار ولم يبقَ إلا آثار الرسوم الدارسة، وقد استمر هذا الألم عندما تأكد أنه لا مجال لعودة الحبيبة ثانية، يقول:

ألا هَلْ ترى أظْعَانَ مَيٍّ كَأنَّهَا ... ذُرى أثْأب راشَ الغصونَ شَكِيلُهَا

تَوارى وتَبْدُو لي إذا ما تطاولت ... شُخوصُ الضُّحَى وانْشَقَّ عنها غَديرُها

---

[1] طوق الحمامة في الألفة والآلاف، ص85.

[2] تجليات الطبيعة والحيوان في الشعر الأموي، ثناء أنس الوجود، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، 1988، ص33.

[3] شعر الأخطل، ج1، ص624.

فَلَمّا عَرَفْتُ البَيْنَ لا شَكَّ أَنَّهُ   عَلَى صَرْفِ عَوْجَاءَ استمرَّ مَرِيرُها[1]

ويسأل عمر نفسه هل يستطيع البقاء في مكة بعد رحيل الحبيبة، فالقلب قد أصبح مكلوماً وظهر الحزن عليه، وقد أستعد القوم للرحيل، فالشوق زاد ولا حدود لهذا الشوق، يقول:

هل أنتَ إن بكرَ الأحبةُ غادي   أم قبلَ ذلك مُدلجٌ بسوَاد
كيف الثُّواءُ ببطنِ مكة بَعْدَما   هَمَّ الذين تُحِبُّ بالإنجاد
لا كيف قَلْبُكَ إن ثويت مُخَامِراً   سَقَماً خِلافَهُمُ وحُزْنُك بادي
فالآن إذ جدّ الرحيل وقُرِّبَتْ   بُزْلُ الجمال لطِيَّةٍ وبِعادِ
وتَنُوفةٍ أَرْمي بنفسي عُرْضَها   شوقاً إليكَ بلا هِدَاية هَادي[2]

وقد برع الشعراء في تصوير آلامهم في الرحلة، وافتنوا في هذا التصوير فهذا كُثَّير قد استبد به الحزن يوم خرجت عزة على ظهر هودجها تجد بالرحيل والألم قد اعتصر قلب الحبيب بعد الفراق، والحدوج قد خرجت بعزة في ضحوة النهار يعبر النقب يسوقه الحادون، فوقف كثير ينظر إلى تلك الجمال وهي تجتاز الثنايا في الجبل والحبيبة قد فارقته ورحلت عنه، يقول كُثَّير:

أَلَمْ يَحْزُنْكَ يَوْمَ غَدَتْ حُدُوْجٌ   لِعَزَّةَ إذْ أجدَّ بِهَا الخروجُ
بضاحي النَّقْبِ حَيْنَ خَرَجْنَ مِنْهُ   وخَلْفَ مُتُونِ ساقَتِها الخَلَيْجُ
رَأَيْتُ جِمَالَها تَعلو الثّنايا   كأنَّ ذُرى هَوادِجِها البُروجُ[3]

---

(1) ديوان ذي الرمة: مطبع بييللي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط2، 1384هـ، 1964م، ص304.

(2) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص151-152،
مدلج: سائر ليلاً، بسواد: بظلمة.
الثواء: البقاء، الأنجاد: الخروج إلى نجد.
البزل: الجمال المسنة، الطية: المكان المقصود.
التنوفة: الفلاة لا ماء فيها ولا حياة.

(3) ديوان كثير عزة، ص91، غدت: رحلت في الغداة، الحدوج: الهوادج على الجمال، أجد بها: ساقها بجهد،
الخروج: الرحيل والانطلاق.
الضاحي: المعرض للشمس، النقب: الطريق الجبلي.
الساقة: مؤخرة الركب أو الجيش، الخليج: من شعاب الوادي المتفرعة.
البروج: جمع برج، وهو الحصن أو القصر العالي.

12.1 الوداع

إن لكل بداية نهاية، ولكل ذهاب إياب، إلا الحب العفيف الشريف، حب يبكي فيه المحب على المحبوب، ويذرف فيه الدموع الغزيرة. بل، إن الحبيب يفتدي محبوبه، ويموت لأجله،والوداع أصعب المواقف وأقساها على قلوب العاشقين، فبعد المحبة والتآلف والود بين الأحبة يكون الوداع، حيث لالقاء ولا اجتماع بل هي زفرات صعبة قاسية، وهل يطيق هؤلاء المتحابين الوداع، كلا إنه لا يطاق، ولكن هذا حكم القدر الذي أراد لهؤلاء المتحابين أن يتفرقوا ويكون بينهم وداع.

وكم كان موقفاً صعباً، يوم ودعت ليلى حبيبها، عندما أرادت الرحيل، فقد مضت والدموع تترقرق في عينها حائرة ولهانة، يقول المجنون:

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّهَا يَوْمَ وَدَّعَتْ   تَوَلَّتْ وَماءُ العَيْنِ فِيْ الجَفْنِ حائِرُ
فَلمّا أعادتْ مِنْ بَعِيْدٍ بِنَظْرَةٍ   إليَّ التفاتاً أسلمتْه المحاجِرُ[1]

وعندما أراد جميل الخروج إلى الشام فاجأ بثينة ليلاً، فقالت له أهلكتني والله، وأهلكت نفسك، فقال لها هذا وجهي إلى الشام وإنما جئتك مودعاً، فحادثها طويلاً ثم ودعها، وقال لها يا بثينة ما أرانا نلتقي بعد هذا أبداً، وبكيا طويلاً[2]، ثم قال لها وهو يبكي:

ألا لا أبَالي جَفْوَةَ النَّاس إنْ بَدَا   لَنا مِنْكِ رأيٌ يا بُثَيْنَ جَمِيلُ
وَمَا لَمْ تُطِيْعِي كاشحاً أوْ تَبَدَّلي   بنا بَدَلاً أوْ كَانَ مِنْك ذُهُولُ
وإنّي وتَكْرَاري الزِّيَارَةَ نَحْوَكُمْ   بُثَيْنَ بِذِي هَجْرٍ بُثَيْنَ يَطُولُ
وَإنَّ صَبَاباتي بِكُمْ لَكَثِيْرَةٌ   بُثَيْنَ وَنِسْيَانيكُمْ لَقَلِيلُ[3]

أما عمر فقد ودع صاحبته رملة، وخرج وهو باك، ووعدها أنه سيظل على حبها، وأنه سلا النساء سواها، يقول:

قَالَتْ رُمَيْلَةُ حِيْنَ جِئت مودّعاً   ظُلْماً بِلا تِرةٍ ولا ذَنْبِ

---

(1) ديوان مجنون ليلى، ص77، مما شجاني: مما أحزنني.

(2) الأغاني، ج8، ص96.

(3) شرح ديوان جميل بثينة، ص157، وانظر الأغاني، ج8، ص96.

الجفوة: الغلظ في المعاشرة.

الكاشح: العدو المبغض، ذهب عنه: نسيه وشغل عنه.

هذا الَّذي ولّى فأجمعَ رحلةً، وابتاعَ منّا البُعْدَ بالقُربِ
فأجبْتها والدمعُ منّي مُسْبَلٌ، سكبٌ، ودمعي دائمُ السَّكْبِ
إن قد سلوتُ عن النّساء سواكم، وهَجَرْتُهنّ، فحبُّكم طِبّي[1]

كما أن جميلاً عندما أراد الذهاب إلى مصر، جاءت بثينة لوداعه ولكن أي وداع هذا الذي يكون بين الحبيبين، وهل يطيقان الوداع؟ كلا، إنهما لا يطيقان الوداع، حيث أخذ كل منهما يذرف الدموع بغزارة شديدة، يقول جميل:

وَمَا أَنْسَى مِ الأَشياءِ لا أَنْسَى قَوْلَهَا وَقَد قَرَّبَتْ نَضْوِي: أمصرَ تُرِيْدُ
ولا قَوْلَهَا لولا العُيُوْنُ الَّتِيْ تَرَى لَزُرْتُكَ فاعْذِرْنِي فَدَتْكَ جُدُوْدُ
خَلِيْلَيَّ مَا ألقى من الوَجْدِ قَاتلي وَدَمْعِي بما قُلْتُ الغَدَاةَ شَهِيْدُ
يقولون جاهِدْ يا جميل بِغَزْوَةٍ وأيَّ جِهَادٍ غَيْرَهُنَّ أُرِيْدُ
لكلِّ حديثٍ بينهنَّ بَشَاشَةٌ وَكلُّ قَتِيْلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيْدُ[2]

13.1 علاقة الرجل والمرأة بالمجتمع

1.13.1 استخدام الرسل بين الأحبة

شاعت عند الشعراء في العصر الأموي ظاهرة استخدام الرسل بين الأحبة، فالشعراء يستخدمون الرسل بينهم وبين الأحبة، وذلك من أجل إيصال رسالة الى الحبيب، أو للإتفاق على موعد لقاء بينهما، أو لتحذير الحبيب مما قد يلم به من الوشاة والحساد.

فقد أرسلت لبنى رسولاً إلى قيس ليبلّغه رسالة منها، ودون أن يعلم قيس ذلك الرسول أنه رسول لبنى، لكنه بعد ذلك عرف أنه رسولها، فأعطاه قيس بعض الشعر ليوصله إليها، يقول:

أَلا حَيِّ لُبْنَى اليَوْمَ إنْ كُنْتَ غَادِياً وَأَلْمِمْ بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ لا تَلاقَيا

---

[1] ديوان عمر بن أبي ربيعة، 85.
رميلة: تصغير رملة، الترة: الثأر. سلوت: نسيت.

[2] شرح ديوان جميل بثينة، ص54.
النضو: المهزول من الإبل.

وَأهْدِ لِهَا مِنْكَ النَّصِيْحَةَ إِنَّهَا قَلِيْلٌ ولا تَخْشَ الوُشَاةَ الأَدَانِيَا
أصُوْنُكِ عَنْ بَعْضِ الأُمُوْرِ مَضَنَّةً وَأَخْشَى عَلَيْكِ الكَاشِحِيْنَ الأَعَادِيَا
أَقُوْلُ إِذَا نَفْسِيْ مِنَ الوَجْدِ أَصْعَدَتْ بِهَا زَفْرَةٌ تَعْتَادُنِي هِيَ مَا هِيَا
فَإِنْ أَحْيَ أَوْ أَهْلِكْ فَلَسْتُ بِزَائِلٍ لَكُمْ حَافِظاً مَا بَلَّ رِيْقٌ لِسَانِيَا[1]

فالشعر الغزلي في ذلك العصر ملئ بذكر الرسل والوسطاء بين الأحباب وبالأخص في شعر عمر بن أبي ربيعة، فالرسل عنصر بارز في حكايات عمر، فقد كان مكثراً في استخدام الرسل، وهؤلاء الرسل كانوا يتصفون بالذلاقة، والقدرة علىالحوار الذي يديرونه، لذلك يشغلون الحيز الكبير، ويكون لهم الأثر البالغ.

وكان بين عمر وبين عائشة مراسلات كثيرة، فقد كانت تكتب له ويكتب لها، وله أبيات فيها يردّ على كتاب كتبته إليه من المدينة، يقول فيها:

مَن لقلبٍ أَمْسَى حَزِيْناً، مُعَنَّى، مُسْتَكِناً قَدْ شَفَّهُ مَا أَجَنَّا
إِثْرَ شَخْصٍ نَفْسِيْ فَدَتْ ذَاكَ شَخْصاً، نَازِحَ الدَّارِ بِالمَدِيْنَةِ عَنَّا
أَنْ أَرَاهُ، واللهُ يَعْلَمُ، يَوْماً، مُنْتَهَى رَغْبَتِي، وما أَتَمَنَّى
لَيْتَ حَظِّيْ كَطَرفةِ العَيْنِ مِنْهَا، وكثيرٌ مِنْهَا القَلِيْلُ المُهَنَّا[2]

والرسول بين الأحبة قد يكون شاعراً أيضاً، فقد أرسل جميل بن معمر، الشاعر كُثَّير إلى بثينة ليأتي منها بالقول الفصل، وليتفقا على موعد للقاء بينهم، فأرسل جميل كُثَّيراً ومعه أبيات من الشعر، فعرض الأبيات على والد بثينة وهي تسمع، ففهمت بثينة الخبر وأرسلت جاريتها إلى موضع الدومات، لتأتي بالحطب

---

(1) شرح ديوان قيس لبنى، ص109، انظر الأغاني، ج9، ص153.
الغادي: الذاهب في الغداة، أي عند طلوع الفجر.
المم بها: قم بزيارتها.
مضنة: بخلاً.
الكاشون: الذين يضمرون العداوة.

(2) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص219.
معنّى: معذّب متعب أجنّ: ستر وخبأ نازح الدار: بعيد عنّ: ظهر

ومن أجل أن تذبح شاة لجميل وخرج كُثَيِّر وجميل حتى أتيا الدومات، وجاءت بثينة ومن معها، فما برحوا حتى برق الصبح[1]، يقول جميل في هذا:

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ أُرْسِلُ صَاحِبِي ... إِلَيْكِ رَسُولاً والمُوَكَّلُ مُرْسَلُ
بأن تَجْعَلي بَيْنِي وَبَيْنَكِ مَوْعِداً ... وَأَنْ تَأْمُرِينِي ما الذي فيه أَفْعَلُ
وآخِرُ عهدي منكِ يَوْمَ لقيتني ... بأسفلِ وادي الدَّوْمِ والثوبُ يُغْسَلُ[2]

وأرسل الراعي النميري رسولاً إلى محبوبته، من أجل توصيل سلام إليها، أو الاتفاق على موعد لقاء بينهم، يقول:

وَمُرْسِلٍ وَرَسُولٍ غَيْرَ مُتَّهَمٍ ... وحَاجَةٍ غَيْرِ مُبْدَاةٍ مِنَ الحاجِ[3]

وقد يكون لرسالة الحبيب أثر بالغ في النفس عند وصولها، وفي ذلك يقول صاحب طوق الحمامة: "إن لوصول الكتاب إلى المحبوب، وعلم المحب أنه قد وقع بيده ورآه للذّةً يجدها الحبيب تقوم مقام الرؤية، وأنّ لرد الجواب والنظر إليه سروراً يعدل اللقاء"[4].

فالقلب قد يخفق، والدموع قد تنهمر، عندما يكون في الرسالة التي تأتي من الحبيب ما يؤدي إلى التشاؤم، يقول يزيد بن مفرغ الحميري:

وقلتُ لها لمّا أتاني رسولُها ... وأيُّ رَسُولٍ لا يَضُرُّ ويَنْفَعُ[5]

وأرسلت ليلى رسالة إلى المجنون بأن يأتي إليها ليلاً إذا حلّ الظلام، فجاء ولكنه كان يشعر بالخوف، إذ قد يكون هناك من يراه حينما يأتي، يقول مجنون ليلى:

وَقَدْ أَرْسَلَتْ لَيْلَى إِلَيَّ رَسُولَهَا ... بَأَنْ آتِنَا سِرّاً إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

---

(1) الأغاني، ج8، ص77، 78.
(2) الأغاني، ج8، ص78.
(3) شعر الراعي النميري، تحقيق نوري حمودي القيسي، وهلال ناجي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1400 هـ، 1980م، ص120.
(4) طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ص109-110.
(5) ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، ط1، 1395هـ، 1975م، ص95.

فَجِئْتُ عَلَى خَوْفٍ وَكُنْتُ مُعوِّذاً   أُحَاذِرُ أَيْقَاظاً عُداةً وَنُوَّمَا[1]

وأرسلت حبيبةُ ابن قيس الرقيات إليه رسولاً، يحمل القول الطيب، فهذه الحبيبة التي أرسلت الرسول تتصف بالجمال فهي كالشمس في جمالها، يقول عبيد الله بن قيس الرقيات:

قَدْ أَتَانَا مِنْ آلِ سُعْدَى رَسُولٌ   حَبَّذَا مَا يَقُولُ لِيْ وَأَقُولُ
مِنْ فَتَاةٍ كَأَنَّهَا قَرْنُ شَمْسٍ   ضَاقَ عَنْهَا دَمَالِجٌ وَحُجُولُ
حَبَّذَا لَيلتي بِمزَّةَ كلبٍ   غال عنّي بها الكوانينَ غُولُ[2]

كما أن حبيبة يزيد بن الطثرية أرسلت إليه رسولاً لتحذيره بأن لا يأتي إليها؛ لأن حولها جماعة من قومها؛ يتصفون بالشدة والقوة، يقول:

وَدَسَّتْ رسولاً أَنَّ حَوْلي عصابة   هُمُ الحَرْبُ فاستَبْطِنْ سلاحَ المُقَاتِلِ
عشيّة مالي من نصيرٍ بأرضِها   سوى السَّيف ضمَّتْهُ إليَّ حَمَائلي[3]

أما جميل بن معمر فقد تمنى الموت إذا لم يكن هناك لقاء بينه وبين الحبيبة يقول:

إنِّي لأحفظُ غَيْبَكُم وَيَسُرُّني   إِذْ تَذْكُرِينَ بصَالح أَنْ تَذْكُرِي
يا لَيتني أُلْقي المَنِيَّةَ بَغْتَةً   وَإِنْ كَانَ يَوْمُ لِقَائِكُمْ لَمْ يُقْدَرِ
أَوْ أَسْتَطِيعُ تَجَلُّداً عَنْ ذِكْرِكُمْ   فَأُفِيقَ بَعْدَ صَبَابَتِي وتَفَكُّرِي[4]

فذكر الرسل والحديث عنهم في الشعر الأموي يعتبر من المظاهر الحضارية البارزة عند شعراء الغزل في هذا العصر، وأن استخدام الرسل كان وسيلة من وسائل الوصول إلى الحبيب والالتقاء به.

---

(1) ديوان مجنون ليلى، ص180، وانظر المظاهر الحضارية عند شعراء الغزل في العصر الاموي، عمر المومني، رسالة جامعية، جامعة اليرموك، 1988. 69.

(2) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص144، وانظر الأغاني، ج5، ص66، المزة: في غوطة دمشق.

(3) ديوان يزيد بن الطثرية، ناصر الرشيد، دار التوبة، ص120.

(4) شرح ديوان جميل بثينة، ص92، وانظر الأغاني، ج8، ص74.

المنية: الموت.

لم يقدر: لم يقضي به الله.

التجلد: الصبر.

الصبابة: الحنين، شدة الشوق.

2.13.1 الإستعانة بالأصدقاء

لقد كثرت في أشعار الشعراء الغزليين ظاهرة الاستعانة بالأصدقاء وأخذ النصح والمشورة منهم، فالحبيب يستعين بصديقه، من أجل الإصلاح بينه وبين الحبيبة، أو بلوغ مأربه، أو من أجل المساعدة على اللقاء بينهما.

فقد استعان عمر بصديقه ابن أبي عتيق للإصلاح بينه وبين الثريا، عندما تم الصدع بينهما "فقدم ابن أبي عتيق مكة ليلاً، فدق على عمر بابه، فخرج إليه وسلم عليه، ولم ينزل عن راحلته، فقال له: اركب أصلح بينك وبين الثريا؛ فأنا رسولك الذي سألت عنه، فركب معه وقدما الطائف، وقد كان عمر أرضى أم نوفل فكانت تطلب له الحيل لإصلاحها فلا يمكنها، فقال ابن أبي عتيق للثريا، هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة إليك، فجئتك به مقترفاً لك بذنب لم يجنه، معتذراً من إساءته إليك، فدعيني من التعداد والترداد؛ قال: فصالحته أحسن صلح وأجمله، وكررنا إلى مكة"[1].

يقول عمر:

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثّرَيّا فإنّي ضِقْتُ ذَرْعاً بِهَجْرِهَا وَالكِتابِ
أَزْهَقَتْ أُمُّ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَتْها مهجتي، ما لقاتلي مِنْ مَتَابِ
حين قالتْ لها أَجِيْبي فقالتْ مَنْ دعاني؟ قالت أبو الخطَّابِ
فاستجابتْ عند الدعاء كما لَبْـــــــــــىْ رجالٌ يَرْجُونَ حسنَ الثوابِ[2]

وطلب عمر أيضاً من صديقه ابن أبي عتيق النصح، وشكا له صبابته في محبوبته الرباب، فنصحه ابن أبي عتيق أن يفيق من غفلته ويفارق الهوى، يقول:

فَإِنْ كُنْتَ عُلِّقت الرَّبابَ، فلا تكن أحاديثَ مَنْ يَبْدُو، ومن هو حاضرُ
أَمِتْ حُبَّها، واجْعَل قديمَ وصالها وعشرتِها أمثالَ مَنْ لا تُعَاشِرُ[3]

---

(1) الأغاني، ج1، ص155.

(2) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص95-96، وانظر الأغاني: ج1، ص154.

أم نوفل: كنية الثريا حبيبته، مهجتي: نفسي، متاب: رجعة.

أبو الخطاب: كناية عمر.

(3) نفسه، ص215.

علقت الرباب: عشقتها، يبدو: يأتي البادية، الحاضر: ساكن الحضر.

كما استعان جميل بأحد أصدقائه في المساعدة على لقاء بثينة، فبعث بصديقه إلى راعي بثينة، وأعطاه خاتم جميل، فذهب به إلى بثينة وأتى منها بموعد، فلما كان الليل جاءته فتحدثا طويلاً، حتى أصبحا ثم ودعها وركب ناقته[1].

يقول جميل:

إنَّ المَنَازِلَ هَيَّجَتْ إطْرَابِي وَاسْتَعْجَمتْ آيَاتُهَا بِجَوَابِي

قَفْراً تَلوْحُ بِذِي اللُّجَيْنِ كَأَنَّها أَنْضَاءُ رَسْمٍ أو سُطُوْرُ كتابِ

لَمَّا وَقَفْتُ بِهَا القَلُوْصَ تَبَادَرَتْ مِنِّيْ الدُّموعُ لِفُرقَةِ الأَحْبَابِ

وَذكرتُ عصراً يا بُثينةُ شَاقني وذكرتُ أَيَّامي وَشَرْخَ شبابي[2]

واستعان قيس أيضاً بابن أبي عتيق في الذهاب إلى الحسن والحسين ابني علي ابن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر –رضي الله عنهم– وجماعة من قريش، فقال لهم قيس: "إن لي حاجة إلى رجل أخشى أن يردني فيها، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه، قالوا: ذلك لك مبتذل منا. فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه فمضى بهم إلى زوج لبنى، فلما رآهم أعظم مصيرهم إليه وأكبره، فقالوا: لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق، قال: هي مقضية كائنة ما كانت، قال ابن أبي عتيق، قد قضيتها كائنة ما كانت من ملك أو مال أو أهل؟ قال نعم. قال: تهب لهم ولي لبنى زوجتك وتطلقها، قال: فإني أشهدكم أنها طالق ثلاثاً، فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا: والله ما عرفنا حاجته، ولو علمنا أنها هذه حاجته ما سألناك إياها، وقال ابن عائشة: فعوَّضه الحسن من ذلك مائة ألف درهم وحملها ابن أبي عتيق إليه، فلم تزل عنده حتى انقطعت عدتها، فسأل القوم أباها فزوجها قيساً، فلم تزل معه حتى ماتا"[3].

قال قيس يمدح ابن أبي عتيق:

جَزَى الرَّحْمَنُ أَفْضَلَ مَا يُجَازِي عَلَى الإِحْسَانِ خَيْراً مِنْ صَدِيْقِ

---

(1) الأغاني، ج8، ص77.

(2) شرح ديوان جميل بثينة، ص29–30، وانظر الأغاني، ج8، ص77.

الطرب: الحزن.

ذو اللجين: اسم مكان، أنضاء: أثار.

(3) الأغاني: ج8، ص162.

فَقَدْ جَرَّبْتُ إِخْوَانِي جَمِيْعاً فَمَا أَلْفَيْت كَابْنِ أَبِيْ عَتِيْقِ
سَعَى فِيْ جَمْعِ شَمْلِي بَعْدَ صَدْعٍ ورَأْيٍ حِدْتُ فِيْهِ عَنِ الطَّرِيْق
وَأَطْفَأَ لَوْعَةً كَانَتْ بِقَلْبِي أَغَصَّتْنِي حَرَارَتُهَا بِرِيْقِي[1]

ولا ندري ما صحة هذه الرواية ولكنها على كل حال تصور مصدر من مصادر الاستعانة بالأصدقاء.

واستعان يزيد بن الطثرية بابن عم له، على رؤية جارية كان يعشقها فما كان من ابن عمه إلا أنه دبرّ له حيلة، رأى فيها تلك الجارية، وأقام عندها ثلاث ليال، يقول:

لَوْ انَّكَ شَاهَدْتَ الصَّبا يا ابنَ بَوْزَلٍ بِفَرْعِ الغضى إذ رَاجَعَتني غَياطلُه
لشَاهَدتَ لهواً بعد شَحْطٍ من النَّوى على سَخَطِ الأعداء حُلْواً شَمَائِلُهْ[2]

هذا وقد شهد العصر الأموي سلسلة من التحولات الاجتماعية، نتيجة امتزاج حضارات الأمم المختلفة بعد الفتح الإسلامي بعضها ببعض، وهذا يدل على مدى التقدم والتطور الحضاري الذي وصل إليه المجتمع الأموي في ذلك العصر، وهو عصر مليء بالتطورات الحضارية بمختلف أنواعها وأشكالها[3].

فقد تحضرت مكة والمدينة، وغرقتا في أذانهما في الرفه والنعيم، بتأثير ما صبّ فيهما من أموال الفتوح والرقيق الأجنبي، وقد أخذ هذا الرقيق يسد حاجة الشباب المتعطل من اللهو، بما كان يقدّم له من غناء وموسيقى[4].

فظهر فن الغزل في هذا العصر، وكان الناس رجالاً ونساءً في مكة والمدينة يقبلون عليه، وأخذ الشعراء يخضعون ملكاتهم وعواطفهم له، فمنهم من يتحفظ، فيكتم حبه في نفسه، فإذا هو حب عذري نقي طاهر وهم أصحاب الورع والتقوى، ومنهم من لا يتحفظ بل يصرّح بحبه وزيارته لمحبوبته[5].

---

(1) شرح ديوان قيس لبنى، ص58-59، وأنظر الأغاني، ج9، ص162.
(2) الأغاني: ج8، ص117.
(3) مقدمة ديوان العرجي، ص38.
(4) العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، القاهرة، ص347.
(5) نفسه، 349.

وكان ملتقى هؤلاء الأحبة، وادي العقيق، الذي كان منتزهاً ومصطافاً يخرجون إليه في أوقات الصيف، ويستظلون تحت ظلال أشجاره ويستبردون بمائه، ويخرج إليه المغنون والشعراء والظرفاء[1].

فكان الحبيب يلتقي الحبيبة فتأخذ بحسنها وجمالها، فتثور في نفسه عاطفة القرب إليها، وتملي عليه هذه الثورة، أن يحدثها عن فيض شعوره، وعن الكلوم التي خلفتها في قلبه، فإذا صدّت وتمنعت توسل إليها، واحتال عليها لعلها ترق وترحم، وكثيراً ما كان يرتقب طلوعها ويرتحل إليها، وقد تسعده الظروف باللقاء، أو تبتعد عنه، فتشقيه بالحرمان[2].

لكن هناك من الناس الذين يأبون على المحب، إلا أن يرنقوا صفوه غيرة منه أو حسداً له، فيجدون في الوقيعة بينه وبين حبيبته، وهم أعداء المحب، وأعداء الحبيبة، هم الوشاة.

3.13.1 الوشاة

هم الذين يحاولون التفريق بين الأحبة، ويحولون دون اللقاء بينهم وتكاد عيونهم تراقب الأحبة في كل مكان، كما أنهم يترصدون خطواتهم وحركاتهم نتيجة الغيرة والحسد.

فهؤلاء الوشاة كانوا يفرحون لسوء العلاقة بين الحبيبين، فقد اشتكى جميل من الوشاة الذي يتتبعونه في كل مكان، كما فرح هؤلاء بأن بثينة قد هجرتْ جميلاً وصدت عنه، يقول جميل:

لَقَدَ فَرِحَ الوَاشُوْنَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي   بُثَيْنَةُ أو أَبْدَتْ لَنَا جَانِبَ البُخْلِ
فَلَوْ تَرَكَتْ عَقْلِي مَعِي مَا طَلَبْتُهَا   وَلَكِنْ طِلابِيها لِما فَاتَ مِنْ عَقْلِي[3]

كما أن الحبيبة قد تهجر الحبيب نتيجة كلام الوشاة، فحبيبة عمر استمعت إلى كلام الوشاة، فقطعت حبل الود الذي كان بينهما، يقول عمر:

---

(1) الحب عند العرب، ص144-145.

(2) السابق: ص150.

(3) شرح ديوان جميل بثينة، ص167-168.

الواشون: النمامون المفسدون، صرمت: قطعت، حبلي: حبل حبي.

هَجَرْتِ الحبيبَ اليَوْمَ مِنْ غيرما اجْتَرَمْ   وقَطَّعْنَ مِنْ ودِيْ لك الحَبْل فَانْصَرَمْ
أطعتِ الوُشاة الكاشحين ومَنْ يُطِعْ   مَقَالَةَ وَاشٍ يَقْرَعَ السِّنَّ مِنْ نَدَمْ
أتاني رسولٌ كُنت أحْسَبُ أنَّهُ   شَفِيْقٌ عَلَيْنَا نَاصِحٌ كَالَّذِيْ زَعَمْ
فَلَّما تباثَثْنا الحديث وصَرَّحَتْ   سَرَائِرُهُ عَنْ بعض ما كان قد كَتَمْ
تَبَيَّنَ لِيْ أَنَّ المُحَرِّش كَاذِبٌ   فَعِنْدِي لَكَ العتبى على رَغْمِ مَنْ رَغَمْ
ظَلَمْتَ وَلَمْ تَعْتِبْ وكَانَ رَسولُهَا   إلَيْكَ سَرِيْعاً بِالرِّضَا لَكَ إذ ظَلَمْ.[1]

ومجنون ليلى يبعد نفسه عن الحبيبة، ويسبب هذا البعد الاشتياق والحنين، ولكن يأبى أن يأتي إليها، وذلك خوفاً من أن ينشر الوشاة ما يثير الظن والشك، يقول:

أُبْعَدُ عَنْك النَفْسَ وَالنَفْسُ حَيَّةٌ   بِذكْرِك والمَمْشَى إلَيْكِ قَرِيْبُ
مَخَافَةَ أنْ تَسْعَى الوَشَاةُ بِظنَّةٍ   وَأُكْرِمُكُمْ أنْ يَسْتَرِيبَ مُرِيْبُ
فقد جُعِلَتْ نَفْسِي وأنت اجْتَرَمْتِهَا   وَكنت أعزَّ النَّاس عَنْكَ تطيب
فلو شئتِ لَمْ أغْضَبْ عليك ولَمْ يَزَلْ   لَكِ، الدَّهرَ، مِنِّي ما حَيِيتُ نَصِيْبُ،[2]

وأحياناً يكتفي الحبيب بحديث العيون المعبرة عن القلوب تجنباً لكلام الوشاة، يقول المجنون:

إذَا خِفْنَا مِنْ الرُّقْبَاءِ عَيْناً   تَكَلَّمَتْ العيونُ عَنْ القلوبِ
وفي غَمْرِ الجَوَانِحِ مُسْتَرَاحٌ   لِحَاجَات المحبِّ إلى الحبيبِ[3]

على أن وشاية الواشين ولوم اللائمين لا ينتجان في نفسية العذري من أثر إلا زيادة إصراره على هواه، والتثبت بصاحبته على الرغم من دواعي اللوم وبواعث

---

(1) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص457، 48، وانظر الأغاني، ج1، ص103.
من غير ما اجترم: من غير ذنب ارتكبه.
الكاشحين: المبغضين، يقرع االسن من ندم: يتحرق ندماً.
سرائره: بما يخبئه.
لم تعتب: لم تظهر الرضى.
(2) ديوان مجنون ليلى، ص20-21.
(3) نفسه، ص43.
غمر الجوانح: داخل الأحشاء.

وَلَيْسَ بَعِيْداً كُلُّ آتٍ فَوَاقِع   ولا مَا مَضَى مِنْ مُفْرِجٍ بِقَرِيْبِ[1]

والحبيبة قد ترسل إلى حبيبها بأن لا يقطعها، وأن يظل على حاله من الاتصال بها، لكن الحبيب يخاف من الوشاة الذين يراقبونه في كل الأمكنة فهذا الحبيب يخاطب الواشين الذين يحاولون التفريق بينه وبين حبيبته فمنهم العدو والعاذل، ويقول لهم مالكم وما لنا أتركونا بحالنا،يقول يزيد بن الطثرية:

فَيَا أَيُّهَا الوَاشُوْنَ بِالغِش بَيننا   فرادى ومَثنى من عدوٍ وعاذل

دَعُوُهُنَّ يَتْبَعْنَ الهوى وتبادلوا   بنا ليس بأسٌ بيننا بالتبادل[2]

وهناك من الأحبة من يعصي أقوال الوشاة، ولا يحفل بها، فهذا وضّاح اليمن، يخاطب الحبيبة ويطلب منها أن لا تحفل بأقوال الوشاة، فالوشاة الذين يحاولون الإيقاع بين الأحبة والدس بينهم، يقول وضاح:

فَاعْصِي الوَشَاةَ فإنَّمَا   قَولُ الوُشَاةَ هُوَ الغَبَنْ

إنَّ الوُشَاةَ إذَا أتَو   كِ تَنَصَّحُوا ونَهَوكِ عنْ

دَسَّتْ حُبَيبة مَوْهناً   إنِّيْ وَعَيْشِكِ يا سَكَنْ

أُبلغتُ عَنْكِ تَبَدُّلاً   وأنيِّ بِذَلِكَ مُؤتَمَنْ[3]

وقد يكتفي الحبيب بالمودة من دون الزيارة، وذلك خوفاً من الوشاة الذين يراقبونه، يقول جرير:

وَنُحْسَدُ أنْ نَزُوْرَكُمُ ونَرْضَى   بدونِ البَذْلِ لَوْ عَلِمَ الحَسُوْدُ[4]

كما أن هؤلاء الوشاة قد يتسببون في إزعاج الحبيبة، ويحاولون قطع الوصل بينها وبين حبيبها، يقول المتوكل الليثي:

سَعَى الوَاشُوْنَ حَتَّى أزْعَجُوْهَا   وَرَثَّ الحَبْلُ فَانجذم انْجِذَاما[5]

---

(1) ديوان الصمة بن عبد الله القشيري، ص30.

الكاشح: العدو المغض، الصرم: القطع البائن.

(2) ديوان يزيد بن الطثرية، ص102، وانظر الأغاني: ج8، ص121.

(3) الأغاني، ج6، ص151.

(4) شرح ديوان جرير، ص190.

(5) ديوان المتوكل الليثي، ص114.

الواشون: الساعون بالوشاية، رث الحبل: أصبح بالياً خلقاً.

وطلب عبد الله بن همّام السَّلولي من محبوبته، بعدم الاستماع لأقوال الوشاة، فقد قطعوا حبل الود الذي كان بينهما، كما أنها أعلنت الهجر له، وكل هذا بفعل الوشاة، يقول:

ألا أَنْتَسأتْ بالودّ عنك وأدْبَرْتْ   مُعَالِنَةِ بالهجر أُمّ سَرِيع
وحمّلها واشٍ سَعَى غَيْر مُصْلِحٍ   فَآبَ بِهِمٍ فِيْ الفُؤَادِ وَجِيعِ[1]

وليلى حبيبة العرجي قد جفته وطاوعت الوشاة، لكنها أخطأت بهذا إذ فقدت حبيباً أخلص في حبه لها كل الإخلاص، يقول العرجي:

فَإِنْ تَكُ لَيْلَى قَدْ جَفَتْنِيْ وَطَاوَعَتْ   -بِعاقبة- بي مَنْ وَشَى وَتَكَذَّبَا
فَقَدْ بَاعَدَتْ نَفْساً عَلَيْهَا شَفِيْقَةً   وَقَلْباً عَصَى فِيْهَا الحَبِيْبَ المُقَرَّبَا[2]

وقد يقوم الوشاة بعمل آخر، وهو أنهم يرمون الحبيبة بصفات قبيحة مذمومة، كما فعل الوشاة الذين وشوا بين ليلى والمجنون، فقد وصفوها بأنها قصيرة، واسعة الفم، جاحظة العينين، وإن في عينيها شهلة، وغيرها من الصفات السيئة، وبالرغم من كل ذلك فهي في قلبه، ومتمسك بها إلى يوم الممات، يقول:

يَقُوْلُ لِيَ الوَاشُوْنَ لَيْلَى قَصِيْرَةٌ   فَلَيْتَ ذِرَاعاً عَرْضُ لَيْلَى وَطُوْلُهَا
وأنّ بعَيْنَيْهَا -لَعَمْرُكَ- شُهْلَةً   فَقُلْتُ كِرَامُ الطَّيْرِ شُهْلٌ عُيُوْنُهَا
وَجَاحِظَةٌ فَوْهَاءُ، لا بَأْسَ أَنَّهَا   مُنَى كَبِدِي بَلْ كُلُّ نَفْسِيْ وَسُولُهَا
فَدُقَّ صِلاَبَ الصَّخْرِ رَأْسَكَ سَرْمَداً   فَإِنِّي إِلَى حِيْنِ المَمَاتِ خَلِيْلُهَا[3]

---

(1) شعر عبد الله بن همام السّلولي، تحقيق وليد محمد السراقبي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط1، 1417هـ/1996، ص77.

انتسأت: ابتعدت، وهو من النس، أم سريع: ربما كانت امرأته أو صاحبته التي يشبب بها، حملها: أوغر صدرها بالحقد.

(2) ديوان العرجي، ص169.

طاوعت: أطاعت، بعاقبة: الجزاء والعقاب.

وشى: نمّ وسعى في الشر.

(3) ديوان مجنون ليلى، ص201.

الشهلة: زرقة تشوب سواد العين.

فوهاء: واسعة الفم، سولها: سؤلها وسؤالها.

4.13.1 اللائمون والعذال:

قد لا يكون هناك وصالٌ في الحب بين الحبيبين ، ولا يكون أملٌ في اللقاء بين الأحبة فيبقى العاشقان يعيشان مرارت الحب، ويتجرعان كأس الفرقة فيتدخل الأهل والأقارب في لوم الحبيب على حب الحبيبة والاستمرار به ، كون لا أمل في اللقاء بينهما ، فهذا توبة قد لامه الأهل والأقارب على تعلقه بليلى يقول:

يَلُومَكَ فيــها اللأئمــون نصــاحةً فَلَيتْ الهــوى باللائمين مكانيــا

لَوْ انَّ الهَوَى عَنْ حبِ لَيْلى أطَاعَني أطعت، ولكنَّ الهوى قَدْ عَصَانيا[1]

والمجنون أيضاً يشكو من هؤلاء اللائمين الحاسدين الذين لا يتركونه بحاله، يقول:

فَوَيْلِي عَلَى العُذَّالِ مَا يَتْرُكُونني بِغَمِّي، أما فِيْ العَاذلِيْنَ لَبِيْبُ

يَقُولُوْنَ لَوْ عَزَّيْتَ قَلْبَكَ لارعَوى فَقلْتُ وَهَلْ للعَاشِقِيْنَ قُلُوْبُ[2]

وقد أخذ اللوم مداه بين هؤلاء المتحابين، فهذا ذو الرمة قد لامه أصدقاؤه، على حبه وتعلقه بمي، لكنه بيّن لهم أنه لا يستطيع تركها أو الاستغناء عنها، يقول:

يَلُوْمُ علي ميٍّ خَليلي وربّما تحور إذا لام الشفيق ويحزق

ولو أنَّ لقمانَ الحكيمَ تعرَّضت لعينيه ميٌّ مسافراً كاد يَبْرق[3]

كما أشار الراعي النميري إلى هؤلاء العذال واللائمين الذين كانوا يحاولون إبعاده عن حبيبته، يقول:

وَلَوْمِ عَاذلةٍ باتَتْ تُؤَرِّقُني حَرّى الملامةِ ما تُبقِي وما تَدَعُ[4]

وحاول هؤلاء العذال التفريق بين جرير وحبيبته، وأن يقطعوا حبل الوصل الذي كان بينهما، يقول:

وَإذْ نَحْنُ لَمْ يُوْلَعْ بنا النّاس كُلُّهُمْ وَمَا نَرْتَجي صَرْمَ الخَليطِ العَوَاذِلُ

خَلِيليَّ مَهلاً! لا تَلُوما، فإنَّهُ عَذابٌ إذَا لامَ الصَّدِيقُ المُوَاصِلُ[5]

---

(1) ديوان توبه بن الحمير،ص53

(2) ديوان مجنون ليلى، ص26، العذال: اللائمون الحاسدون، الغم: الحزن، لبيب: ذكي، أرعوى: ارتدع، رجع عن طيشه.

(3) ديوان ذي الرمة، ص479.

(4) ديوان الراعي النميري، ص128.

(5) شرح ديوان جرير، ص532.

الصرم: القطيعة، العواذل: الحساد واللاهون. الصديق المواصل: الملازم.

ولم يغفل هؤلاء العذال عن محب أو يتركوه بحاله، فهذا كُثَّير قد حاولت النسوة الإيقاع بينه وبين عزة، لكنه كان يتضرع إلى الله بالدعاء عليهن وأن يجعل خدودهنَّ نعالاً لها:

وسعى إليَّ بِصَرْمِ عَزّة نِسْوَةٌ جَعَلَ المليكُ خُدودَهُنَّ نِعَالَها[1]

---

(1) ديوان كثير عزة، ص235.

المليك: هنا الله –سبحانه وتعالى

الفصل الثاني
اللباس والزينة

1.2 مظاهر اللباس والزينة

لقد أصبحت المدينة في عصر الخلفاء الراشدين، عاصمة الإمبراطورية الإسلامية، فقد فتح العرب بلاد فارس، كما فتحوا بلاد الشام ومصر، وأخذت الأموال تنهال على المدينة، كما أنهال الرقيق الذي كان يُسبى من رجال ونساء[1].

ونتيجة لذلك اتسع ثراء أهل المدينة في العصر الأموي، اتساعاً شديداً، واقترنت بهذا الثراء، ضروب واسعة من الحضارة، لم تعرفها المدينة من قبل[2].

فقد نشأ في هذا العصر جيل آخر، جمع في حياته ما ورثه من عادات تتعلق بأنواع الملابس والطيب والزينة، كما أدخل في أنماط حياته ما أطلّع عليه من عادات الشعوب الأخرى.

ويعد العصر الأموي امتداداً للعصر الجاهلي من الناحية الحضارية والأدبية. فقد كانت حياة العرب في الجاهلية بسيطة، وكانت هذه البساطة تظهر في طرق معايشهم وطعامهم وسكنهم، وكان لباس العرب في الجاهلية يتكون من القميص والحلة والإزار والشملة والعباءة والعمامة، وثيابهم القصيرة إلى أسفل الركب، كما عرف عرب الجاهلية النعال والخفاف وكان يلبسها بعض الخاصة، وأفضل مثال للباس العرب لباس النبيﷺ[3].

وكانت أنسجة العرب من القطن والكتاب والصوف، كما صاروا يلبسون الخز والطيلسان والأقبية، وقد نسب المؤرخون أنماطاً من اللباس لرجال في العصر الأموي؛ فقيل إن أول من لبس الدراريع السود المختار بن أبي عُبيد الثقفي، وأول

---

[1] الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر نبي أمية، شوقي ضيف ، دار المعارف، مصر ، القاهرة.24

[2] نفسه، ص29.

[3] الملابس العربية في الشعر الجاهلي، يحيى الجبّوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1989، 12-13.

من لبس الخز الأدكن عبد الله بن عامر، وأول من لبس الطيلسان في المدينة جبير ابن مطعم[1].

وقد استمر العرب في العصر الأموي على ما كان عليه العرب في الجاهلية مع بعض التطور الذي حصل نتيجة إطلاعهم على حضارات الأمم المجاورة وبتطور الحياة نفسها، تفننت النساء في اللباس، فكنَّ يلبسنَّ الديباج والحرير والكتان، وأيضاً الثياب المعصفرة، والثياب الرقيقة الشفافة[2].

كما تفننت النساء في التطيّب بأنواع الطيب المختلفة، ولم يقتصر الطيب على النساء، بل كان الرجال يتخذون الطيب ويكثرون منه[3].

وبالغ العرب في التزين بمختلف أنواع الحلي والجواهر، فكانت النساء تتحلى باللؤلؤ والياقوت والزبرجد، واشتهرت من بين سيّدات العرب السيدة سكينة بنت الحسين، فقد كانت تثقل ابنتيها بالحلى واللآلي وقلّدها الآخرون، فكانوا يتخذون مثلهن الحلى والجواهر[4].

ومن تلك المظاهر التي برزت في ذلك العصر، واهتم بها الشعراء، وظهرت في أشعارهم.

1.1.2 اللباس

تعد الملابس من المظاهر الدالة على رقي الإنسان وتقدمه، وقد حث الإسلام على اتخاذ المظهر الجميل، "يا أيها الذين آمنوا خذوا زينتكم عند كل مسجد"[5]، وقد عرفت الملابس بأنواعها وأشكالها المتعددة عند كثير من الأمم السابقة، لكن هذه الملابس لم تبق على حالها كما كانت عليه، فقد أصابها التغيّر والتطور لتتناسب مع طبيعة الحياة في كل عصر من العصور، لذلك لبس العرب أجود الملابس المصنوعة من الكتان والقطن والديباج والخز الموشاة، وظهر الاهتمام أكثر فأكثر

---

(1) السابق، 13.

(2) الأغاني، ج6، ص13.

(3) الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ص31.

(4) نفسه، ص31.

(5) سورة الأعراف، الآية: 31، والمقصود بالزينة هنا المظهر الجميل.

في العصر الأموي نتيجة لاتصال العرب بحضارات الأمم المختلفة، فقد ظهرت أنواع مختلفة من الألبسة وبمختلف الأشكال والألوان، وكان الشعراء حريصين على ذكرها في أشعارهم.

ومن أهم الملابس التي ذكرت في شعر أشعار شعراء الغزل في العصر الأموي وتدل على حضارة ذلك العصر.

الثوب

الثوب: واحد الأثواب والثياب، والجمع: أثوب، وبعض العرب يهمز، فيقول (أثؤب)، ويقال لصاحب الثياب: ثوّاب[1]، وقوله عزّ وجل: "وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ"[2].

وقد وردت الثياب في أشعار الشعراء الجاهليين، حيث كنى أمرؤ القيس بالثياب عن النفس، يقول:

وإنْ كنتِ قَدْ ساءَتْكِ مني خَلِيقَةٌ فَسُلِّي ثيابي من ثيابِكِ تَنْسُلِ[3]

أما في الإسلام فقد نُهي عن لبس ثوب الشهرة، وقد ورد في حديث الرسول ﷺ: "من لبس ثوب الشهرة ألبسه الله ثوب المذلة"[4].

أما في العصر الأموي فقد بالغ العرب في التفنن في أنواع الثياب وزخرفتها، إذ راحت النساء ترتدي الأثواب ذات ألوان ومطرزات مختلفة، شبيهة بثياب الرجال، وقد أشار إلى هذا العرجي في أن الثياب التي ترتديها الحبيبة شبيهة بثياب الرجال، يقول:

سَدَّت مَسَامعها بِفُرْجِ مَرَاجلِ مِنْ نَسْجِ حَيٍّ مِثْلُهُ لا يَنْسُجُ[5]

ومن هذه الثياب ما هو رقيق ناعم، وقد وصف العرجي ملابس حبيبته الرقيقة الناعمة الفوّاحة بالطيب، يقول:

---

(1) معجم لسان العرب، مادة (ثَوَبَ).

(2) المدثر: الآية 4.

(3) ديوان امرؤ القيس، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1958، ص13، وانظر الملابس العربية في الشعر الجاهلي، ص96.

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمد بن الأثير الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص228.

(5) ديوان العرجي، ص188، الفرج: الثوب المشقوب، المراجل: نسبة إلى الرجال.

مَجَاسِدُها نَفْحٌ مِلاء كَأَنَّها نَوَاعِمُ حُوْرٍ تَحتَهُ المَاءُ رَاكِدُ[1]

الحُلَّة

الحُلَّة: كل ثوب جديد تلبسه المرأة غليظ أو دقيق، ويشترط أن يكون من قطعتين كالإزار والرداء[2].

وقد لبس الرسول ﷺ حلة حمراء، فعن جابر بن عبد الله قال: (ما رأيت أحسن من رسول الله ﷺ في حلة حمراء)[3].

وأشار الشعراء في العصر الأموي إلى هذا النوع من اللباس، ومنهم العرجي الذي أشار إلى أن حبيبته كانت ترتدي حلة، وهذا دليل على أنها من لباس الرجال والنساء، يقول العرجي:

في حُلَّةٍ مِنْ طِرَازِ السُّوسِ مُشْرَبَةٍ تَعْفُوْ بُهُدَّابِهَا مَا تُنْدَبُ القَدَمُ[4]

فقد أشار الى أن الحلة هذه من طراز السوس وهذا يعني أن لها قيمة عظيمة، والسوس بلدة في خوزستان اشتهرت بتطريز الألبسة الحريرية.

ومن أنواع الحلل هذه، حلة أكباش، والتي أشار إليها وضاح اليمن بأن الحبيبة كانت تمشي وهي تضع في ساقها الخلخال، وتلبس حلة من برود اليمن، حيث كانت اليمن من أكثر البلاد شهرة بأنواع الصناعات والحرف، وقد كانت تستورد منها تلك الثياب والأقمشة.

يقول وضّاح اليمن:

ولَقِيْتُهَا تَمْشِيْ بِأبطَحَ مَرّةً بِخلاخلٍ وَبِحُلّةِ أَكْبَاشِ[5]

---

(1) السابق، ، الماجسد: جمع مجسد، وهو الثوب الذي يلي البدن، النفح: الرائحة الطيبة، الملاء: المطية، الحور: البيض الألوان ،ص211.

(2) اللسان: مادة (حل).

(3) النهاية، ج1، ص234، وانظر الملابس العربية في الشعر الجاهلي، ص113-114.

(4) ديوان العرجي، ص313، وانظر الأغاني، ج1، ص252.

(5) الأغاني، ج6، ص153، الأكباش: من برود اليمن.

البُرْد

البُرْد: ثوب فيه خطوط، وخص بعضهم به الوشي، والجمع أبراد وأبرد وبرود، وقال الليث، البُرْد معروف من برود العَصْبِ والوشي وقد تكون أكسية يلتحف بها[1].

وكان للعرب في الجاهلية معرفة بهذه الأثواب، وقد ورد في شعر سُحيم أنه إذا شق كل من المتحابين ثوب صاحبه ازداد حباً، يقول:

فَكَمْ قَدْ شَقَقْنَا مِنْ رِدَاءٍ مُنيَرٍ وَمِنْ بُرْقُعٍ عَن طَفْلَةٍ غَيْرِ عانسِ
إذا شُقَّ بُرْدٌ شُقَّ بالبُرْدِ بُرْقُعٌ دَوَاليْكَ حَتَّى كُلُّنَا غَيْرُ لابسِ[2]

والبُرْد لباس المرأة وبعض من زينتها، وهو ليس خاصاً بها وحدها، فهو أيضاً لباس الرجل وبعض من زينته، وقد يلبس الرجل أكثر من برد زيادة في الأناقة والترف[3].

وقد لبس رسول الله ﷺ برداً نجرانياً غليظ الحاشية، وكان له برد أحمر يلبسه في العيدين[4]،ورد ذكر البرود كثيراً عند شعراء الغزل في العصر الأموي، وهذه البرود كانت تتصف بجمالها وزينتها، وقد أشار العرجي إلى أن الحبيبة كانت تلبس هذه البرود الجميلة وما يزيدها ذلك إلا جمالاً وإشراقاً، يقول:

تَحُوذُ بِالبُرْدِ لها عَبْرَةً جَادَتْ بِهَا العَيْنُ وَلَمْ تُفْشَجِ[5]

كما أن هذه البرود قد تكون مخططة على شكل نشاشيب ناعمة، وقد أشار إلى هذا كُثَّير عزة في وصف الحبيبة بأنها دقيقة الخصر ناعمة تتثنى وتتمطا أثناء مشيتها، وأن هذه البرود اليمانية التي ترتديها تبدو عليها جميلة، كما أنها حرة عفيفة مترفعة، يقول:

هَضِيْمُ الحَشَا رُوْدُ المَطَا بَخْتَرِيَّةٌ جَمِيْلٌ عَلَيْهَا الأَتْحَمِي المُنَشَّبُ

---

(1) اللسان: مادة (برد).

(2) ديون سحيم عبد النبي الحسحاس، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950، ص16 ، وانظر: الملابس العربية في الشعر الجاهلي، ص80.

(3) الملابس العربية في الشعر الجاهلي، ص83.

(4) نفسه، ص85-86.

(5) ديوان العرجي، ص190، تحوذ: تحمل وتملك، البرد: الثوب، العبرة: الدمعة، فشج الدمع.

هيَ الحُرَّة الدَّلُ الحَصَانُ وَرَهْطُهَا   -إِذَا ذُكِرَ الحَيُّ- الصَّرِيحُ المُهَذَّبُ(1)

ومن هذه البرود ما هو ناعم رقيق، وهذا يدل على رقة صاحبته أيضاً، ووصف كُثَّير الحبيبة بأنها منعمة رقيقة لو دَبَّ النمل الصغير على جلدها تحت ثوبها لخمش وجرح ذلك الجسم من رقة الثوب، يقول:

منعَمَّةٌ لَوْ يَدْرُجُ الذَّرُّ بَيْنهَا   وَبَيْنَ حَوَاشِي بُرْدِهَا كَادَ يَجْرَحُ(2)

وورد ذكر البرود في شعر المجنون،حينما رأى الحبيبة وهي ترمي الحجارة بمنىً في موسم الحج وقد ظهر من خلال ثوبها أطراف أصابعها المصبوغة بالحناء، يقول:

وَلَمْ أرَ لَيْلَى غَيْرَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ   بِبَطْنِ مِنَى تَرْمِيْ جِمَارَ المُحَصَّبِ
وَيُبْدِي الحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ   مِنْ البُرْدِ أَطْرَافَ البنان المُخَضَّبِ(3)

ولهذه البرود أنواع كثيرة، منها العَصْب: وهي ضرب من برود اليمن سمي عصباً لأن غزله يعْصب، أي يدرج ثم يصبغ ثم يحاك، وليس من برود الرقم(4). لذلك نسب إليها فسميت العصب اليمانية، وورد ذكر هذا النوع في شعر كُثَّير، يقول:

إِذَا حُلَلُ العَصبِ اليماني أجادها   أَكُفُّ أَساتيذٍ عَلَى النَّسْجِ دُرَّبِ(5)

وهذه العَصْب قد تكون طويلة مخططة، وقد بَيَّن هذا النوع عمر بن أبي ربيعة في وصف محبوَبته، وهي تلبس هذا النوع من العَصْب، يقول:

فَلَمَّا اكْفَهَرَّ اللَّيْلُ، قَالْت لِخُرِدٍّ   كَوَاعِبَ فِيْ رَيْطٍ وَعَصْبٍ مسُهَمَّ
نَوَاعِمَ قُبَّ بُدَّنٍ صَمُتِ البُرَى،   وَيملأْن عينَ النَّاظِرِ المُتَوَسِّمِ(6)

---

(1) ديوان كثير عزة، ص56، هضيم الحشا: دقيقة الخصر، رود: ناعمة، المطا: التثني والتمطي، الاتحمي: البرد المخطط، المنشب: على شكل النشاشيب، البخترية: ذات دل وتبختر، الدل: المتدللة، الحصان: المحصنة العفيفة، رهطها: قومها وجماعتها.

(2) نفسه، ص106، الذر: النمال الصغيرة، الحواشي: الأطراف، يدرج: يسير أو يدب.

(3) ديوان مجنون ليلى، 42، منى: اسم موضع، جمار: مجتمع، المحصب: الحجارة، البنان المخضب: الأصابع المصبوغة، وانظر المظاهر الحضارية عند شعراء الغزل في العصر الأموي ،22 .

(4) اللسان: مادة (عصب).

(5) ديوان كثير، ص67، حلل العصب اليماني: برود يمانية الصنع، درب: مدبرون.

(6) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص528، الخرد: جمع خريدة، وهي البكر الحية، الريط: الثياب الرقيقة الناعمة، العصب: نوع من الثياب، المسهم: الموشى.

السَّابريُّ

السَّابريُّ: من الثياب الرقاق، وكل رقيق سابريٍّ نسبة إلى سابور على غير القياس، وهي كورة في بلاد فارس[1].

وقد عرف العرب في الجاهلية هذا النوع من الثياب، وورد ذكره عند معظم شعراء ذلك العصر، ومن ذلك قول حاتم الطائي:

دِيَارَ التي قامَتْ تُريكَ وَقَدْ خَلَتْ ... وَأَقْوَتْ من الزّوار كَفّاً وَمِعْصَمَا
تهاد عليها حَلْيُها ذَاتُ بَهْجَةٍ ... وكَشْحَاً كطَيِّ السَّابِرِيّة أهْضَما[2]

كما ورد هذا النوع من الثياب في شعر شعراء العصر الأموي، حيث كانت النساء يلبسّن هذا النوع من الثياب، وهذا يدل على الحضارة والرقي التي وصل إليها إنسان ذلك العصر، ويدل أيضاً على التنوع والتطور في أنماط الملابس.

والسابري له أنواع مختلفة، منها ما هو مصبوغ أو معصفر بالزبرقان، وقد يبدو هنا ملمحاً حضارياً في طريقة صنع هذا النوع من الملابس، وكيف يتم صباغتها بالزعفران والعصفر، يقول الفرزدق وقد أشار إلى هذا النوع من الثياب المعصفرة.

تَراخى بهنَّ اللَّيل، يَتْبَعْنَ فَارِكاً ... يضيءُ سناها سابّريا مُزْعفرا[3]

ومنه ما هو أبيض خالص، وأشار إلى هذا النوع من الثياب الأخطل:

إِذَا السَّابِرِيُّ الحُرُّ أَخلَصَ لَوْنَهَا ... تَبَيَّنْتَ لا جيد قصيراً ولا عُطلا
إِذَا ما مشت تهتز لا أحمرِيَّةُ ... ولا نصف تظن من جسمها دَخْلا[4]

الرَّقْم

الرَّقْم: ضرب مخطط من الوشي، وقيل: من الخز، والرقم: خز موشى، يقال: خز رقم كما يقال برد وشي، والرقم ضرب من البُرد[5].

---

(1) اللسان: مادة (سبر).

(2) ديوان حاتم الطائي، صنعة عيسى بن مدرك الطائي، رواية هشام الكلبي، تحقيق عادل سليمان، ، مكتبة الخانجي، ط2 ،القاهرة، 1990، ث234، وانظر الملابس العربية في الشعر الجاهلي، ص152.

(3) ديوان الفرزدق علي الفاعور، ص252، الفارك: المرأة التي أبغضت زوجها، السابري: ثوب رقيق جداً.

(4) شعر الأخطل، ج2، ص543.

(5) اللسان: مادة (رقم).

ويعد الرَّقْم من الملابس التي ظهرت عند شعراء العصر الأموي، وذكرها الشعراء في أشعارهم.

وورد ذكر هذا النوع من الثياب في الشعر الجاهلي ومن شعراء العصر الأموي الذين ذكروا هذا النوع من الثياب، كُثَيِّر عزة إذ شبَّه الحبيبة وهي تلبس هذا النوع من الثياب بالشجر الطويل بلا شوك، يقول:

وَبالسَّرحاتِ مِنْ ودّانَ رَاحَتْ   عَلَيْهَا الرَّقْمُ كَالبَلَقِ البهيج[1]

الرَّيْطَةِ

الرَّيْطَةُ: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة، وتعد نوعاً من الملاحف التي كانت تتصف بالطول، وقد تطلق على كل ثوب لين دقيق والجمع ريط ورياط[2].

ويعد لباس الريط استمراراً لما كان عليه العرب في الجاهلية، فقد لبسه الرجال والنساء وافتنوا في وصفه وتشبيهه والتشبيه به، كما أنه يصون صاحبه، وهو لباس المترفين[3].

ولا بد أن تطوراً وتفنناً دخلا صناعته ونسجه في هذا العصر، وقد وصف الشعر الأموي الريط، وذكر الشعراء هذا النوع من اللباس في أشعارهم، فالطرماح يصف إعجاز النساء وهن يلبسن هذه الريط الجميلة، فيقول:

كَأَنَّ أَعْجَازَها والرَّيْط يَعْصُمُها   بَيْن البُرْين وَأَعتَاق الَعَواهِيجِ[4]

ويصف العرجي نساء جميلات مترفات لبسن الريط، ويشبِّهُهُنَّ بالغزال، قائلاً:

مِنْ كُلِّ صَفْرَاءَ مِثْلِ الرِّيْمِ خَرْعَبَةٍ   فِيْ نَاصِحِ اللَّوْنِ تَحْتَ الرَّيْطِ كَاللَّبَنِ[5]

---

(1) ديوان كُثَيِّر عزة، ص92، السرحان: جمع سرحة وهي شجرة بلا شوك تشبه بها المرأة. ، البلق: الملون (السواد والبياض).

(2) اللسان: مادة (ربط).

(3) الملابس العربية في الشعر الجاهلي، ص146.

(4) ديوان الطرماح، تحقيق عزة حسن، دمشق، 1388هـ، 1968م، ص115.

(5) ديوان العرجي، ص334، الريم: الظبي الخالص البياض، الخرعبة: الفتاة الشابة الناعمة.

المِطْرَف

المِطْرَف والمُطْرَف (بكسر الميم وضمها): واحد المطارف، وهي أردية من خز مربعة لها أعلام، وقيل: ثوب مربع من خز له أعلام وقال الفراء: المطرف من الثياب ما جعل في طرفيه علمان[1].

والمطارف لباس المترفين، وهو من لباس الرجال والنساء، وذلك ما ورد في حديث عروة بن الزبير، قال: (إن عائشة كست عبد الله بن الزبير مطرف خز كانت تلبسه)[2].

وأورد شعراء الغزل في العصر الأموي هذا النوع من الثياب في أشعارهم وكانوا يشيرون به إلى جمال الحبيبة.

أما ابن قيس الرقيات فقد ذكر المطرف في إشارة منه إلى بدانة صاحبته وضخم أعضائها، كما أنها كالبدر في الجمال والزينة، يقول:

وفتاةٌ كَالبَدْرِ تَحنُو إِلَيْهَا ... حِيْنَ تَبْدُو العيُوْنُ وَالأَعْنَاقُ
يَعْجَزُ المِطْرَفُ السّبَاعي عنها ... والإِزَارُ المفوَّقُ المِلْفَاقُ[3]

الأصل في ذلك أعلام أربعة، ولعل هذا فيه أعلام سبعة.

المِرْط

المِرْط: كل ثوب غير مخيط، وهو كساء من صوف أو خز يؤتزر به والجمع مروط[4].

والمروط من لباس النساء، كما جاء ذلك في قول عمر بن أبي ربيعة:

ومن مَالِئ عَيْنيهِ مِنْ شَيْءِ غيرهِ ... إِذَا رَاحَ نَحْو الجَمْرَةِ البِيْضُ كَالدُّمَى
يُسَحِّبْنَ أَذْيَالَ المروطِ بِأَسْؤقٍ ... خِدَالٍ إِذَا وَلَّيْنَ أَعْجَازُهَا روَى[5]

---

(1) اللسان: مادة (طرف).

(2) النهاية، ج1، ص130، وانظر الملابس العربية في الشعر الجاهلي، ص303.

(3) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص42، المطرف: رداء من خز، السباعي: سعته سبعة أذرع، المفوق: الموشى، الملفاق: الذي لفق طرفاه أي ضما أحدهما إلى الآخر.

(4) اللسان: مادة (مرط).

(5) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص23-24، الجمرة: الحصاة، البيض كالدمى: كناية عن النساء الجميلات، أسوق: جمع ساق، خدال: جمع خدلة، الساق الممتلئة الأعضاء لحماً في دقة عظام، روي: أي فيها ري.

ونستنتج من وصفه هذا أن المروط كانت طويلة بحيث تختال بلبسهن النساء ويجررن أذيالهن، وهذا المرط قد يلبسه الرجال أيضاً.

وقد وردت المروط في شعر الشعراء الغزلين في العصر الأموي، ويبدو الملمح الحضاري في هذه البرود، حيث أن بعضاً منه كان يصنع من الخز وهذا ما أشار إليه المتوكل الليثي في وصف النساء المترفات بأنهن كن يتخذّن هذه المروط المصنوعة من الخز الناعم، يقول:

نَوَاعِمُ يَتَّخِذْنَ لِكلٍّ مُمْسَى مُرُوْطَ الخَزِّ والنُّقَبِ النِّعَالا[1]

والنقب: جمع النقبة ثوب كالإزار يجعل له حجرة مخيطة.

والمرأة قد تتلفع بالمرط، وتلفه على خصرها فيستدلى على جسمها، وقد يصل إلى الأرض بحيث تتعثر به، يقول عمر:

وَإِذَا مَا عَثَرَتْ فِيْ مَرْطِهَا نَهَضَتْ باسْمِي وَقَالَتْ يا عُمر[2]

وأشار الفرزدق إلى ذكر المرط الذي كانت ترتديه صاحبته؛ فهي فتاة تتصف بالجمال والبهاء، وقد ذكر المرط مجازاً وقرنه بالتصابي ليدلنا عن تنعمها وتبخترها به، يقول:

بأطيب من بيت المُلاءةِ إذْ غَدت تقاعس في مرط التصابي على مَهْلِ[3]

الدِّيْبَاج

الدِّيْبَاج: ضرب من الثياب فارسيٌ مُعْربُ، والجمع دبايج ودبابيج، وقال ابن جني: قولهم دبابيج يدل على أن أصله دّباج وأنهم إنما أبدلوا الباء ياء استثقالاً، وقيل: هو الثوب الذي سداه ولحمته من الحرير، فهو إذن نوع من الأقمشة التي كانت تصنع منها بعض الملابس[4].

وقد ورد هذا النوع من الثياب عند شعراء العصر الجاهلي، قال ابن مقبل يصف البعير:

---

(1) ديوان المتوكل الليثي، ص155.

(2) ديوان عمر، ص234، وانظر الأغاني: ج1، ص105.

(3) شرح ديوان الفرزدق، إيليا الحاوي، ج2، ط2، ص332.

(4) اللسان: مادة (دبج).

يَسْعَى بِهَا بَازِلٌ دُرُمٌ مرافقه يجري بديباجته الرَّشحُ، مرتدع[1]

كما ورد أيضاً هذا النوع من الثياب عند شعراء الغزل في العصر الأموي ومن الشعراء الذين أوردوا ذكره، النابغة الشيباني، إذ يقول:

لَقَدْ هَازلتها في يَومِ دَجْنٍ عَلَى عتقٍ مِن الديباج فُرُشِ[2]

فالديباج هنا قماش استخدم في تغطية الفرش.

ووصف ابن قيس الرقيات الحبيبة في جمالها وتنعمها بأنها رقيقة رقة الديباج الذي يأتلف مع أنواع أخرى من الحرير، يقول:

شَبَّ البَيَاضُ أَمَامَ صُفْرَتِهَا فِي رِقَّةِ الدِّيْبَاجِ وَالعِتْقِ[3]

الإزَار

الإِزار: الملحفة، يذّكر ويؤنث، وقد تلحقه تاء التأنيث، فيقال الإزارة، وجمع الإزار أُزر، وأزرت فلاناً إذا ألبسته إزاراً متأزّر تأزراً[4]، وفي الحديث: قال الله تعالى: "العظمةُ إزاري والكبرياء ردائي". فقد ضرب الله –سبحانه وتعالى– بهما مثلاً في انفراده بصفة العظمة والكبرياء وشبههما بالإزار والرداء[5].

وقيل سمي الإزار إزاراً لحفظه صاحبه وصيانته جسده، أخذ من آزرته أي عاونته واهتم الجاهليون بالأُزُر وتحدثوا عنها في أشعارهم،وتفاخروا بلبسها وجرها.

وقد وصف الشعراء الأمويون الإزار، وكان مستحباً لأنه كان يواري الأجزاء التي تستحب فيها الضخامة والامتلاء في المرأة.

---

(1) ديوان ابن مقبل، تميم بن أُبي بن مقبل بن عجلان، تحقيق: عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ص1962، 105.

(2) ديوان النابغة الشيباني، تحقيق عبد الكريم ابراهيم يعقوب، منشورات وزارة الثقافه السورية، ودار احياء التراث العربي ، دمشق، 1987،ص70.

(3) ديوان عبيد الله قيس الرقيات، ص32/ شب البياض: حسن وعلا كشبوب النار وهو إتقادها.

(4) اللسان: مادة (أزر).

(5) سنن أبي داود (أبي داود سليمان بن الأشعث السجاتني)، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص407.

وهذه الأُزر ذات ألوان مختلفة، منها اللون الأحمر الذي ذكره كُثَيِّر عزة، حينما وصف هؤلاء الأمراء المترفين من بني مروان، لهم أزر حمر طويلة تطؤها أقدامهم بنعال حضرمية ملّسنة، يقول:

لَهُمْ أُزُرٌ حُمْرُ الحواشي يَطُونَها   بِأَقْدَامِهِمْ فِيْ الحَضْرَمِيّ المُلَسَّنِ[1]

كما ذهب العرجي إلى ذكر الإزار، حينما وصف جمال الحبيبة بأنها ضخمة الأوراك حين يلفها الإزار، يقول:

مَمْكُوْرَةِ السَّاقِ رَابٍ ما أَحَاطَ بِهِ   مِنْهَا الإِزَارُ وجَالَ الكَشْحُ في البَدَنِ[2]

الجِلْبَابَ

الجِلْبَابَ: نوع من الملابس التي تستر جسم المرأة، باعتباره فضفاضاً واسعاً، وقد أمر الله تعالى رسوله الكريم، بأمر النساء أن يلبسن الجلباب، قال تعالى: "يا أيها النبيُّ قُلْ لأزواجِكَ وبناتِكَ ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن"[3].

والجلباب: ثوب أوسع من الخمار، دون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها، وقيل ثوب واسع دون الملحفة تلبسه المرأة، وقيل هو الملحفة[4]، وهذا النوع تلبسه المرأة غالباً، وقد يلبسه الرجال أيضاً.

وجاء في الشعر الأموي وصف الجلباب، بصورة حضارية، من ذلك قول العرجي، الذي شبه الليل الأسود وظلامه بالجلباب، يقول:

أَرْعَى النُّجُوْمَ وطُولُ اللَّيْلِ مُعْتَكِرٌ   حَتَّى بَدَا الفَجْرُ جِلْبَاباً لَهُ الغَلَسُ[5]

كما أشار عمر إلى ارتداء بعض صاحباته الجلباب، حيث كانت الجبيبة تحدثه والدموع تذرف بغزارة شديدة من عيونها على الخدين، ومن غزارتها وصلت إلى الجلباب، يقول:

---

(1) ديوان كثير عزة، ص377، الحواشي: الأطراف: يطونها: يطؤونها، الحضرمي، نوع من النعال الغلس ذو لسان من جلد أمامه.

(2) ديوان العرجي، ص334، الممكورة: الممتلئة، الرابي: المرتفع، ومؤنثه الرابية.

(3) الأحزاب: الآية: 59.

(4) اللسان: مادة _جلب).

(5) ديوان العرجي، ص248، أرعى النجوم: أراقبها من الأرق، الغلس: ظلمة آخر الليل، وانظر المظاهر الحضارية عند شعراء الغزل ،26.

قَالَتْ سُكَيْنَةُ وَالَدْمُوعُ ذُوَارِفٌ مِنَها على الخدَّيْنِ وَالجِلْبَابِ[1]

الخِمَار

الخِمَار: ما تغطي به المرأة رأسها، وهو شقة على الرأس تلف على جزء من الوجه، ومن أسمائه: النَّصيف، والقِنَاع، والبُرقع، والسَّب، وجمع الخمَار أخْمِرة وخُمُر (بسكون الميم وضمها)، والخِمِرّ (بكسر الحاء والميم وتشديد الراء)[2].

وورد هذا النوع في أشعار الشعراء الجاهليين، ووصفوا النسوة واضعات الخمر أو مائلات الخمر أو حواسر منه، وفي شعر جران العود صورة لوجه امرأة جميلة يتلألأ، كأنه سبيكة من ذهب مجلو، ثم أدير حوله الخمار.

كَأَنَّ سَبِيكَةً صَفْرَاءَ شِيْفَتْ عَلَيْهَا ثُمَّ لِيْثَ بِهَا الخِمَارُ[3]

وفي الإسلام يجيء (الخمار) في القرآن الكريم لإخفاء زينة المرأة على غير المحرمين من الرجال، وحدّد القرآن الكريم موضع الخمار، بأن تغطي به الجيوب ملاثاً على الرأس، قال تعالى: "وقل للمؤمنات يَغْضُضن من أبصارهنَّ ويحفظن فُروجَهنَّ ولا يُبْدين زينتهنَّ إلا ما ظهر منها وليضربن بخُمرُهنَّ على جُيُوبهنَّ"[4].

وكان العرب يمدحون المرأة التي تلبس خمارها، وهو يدل على العفة والحياء ولا تسقطه عن وجهها فعل المتعرضات للرجال، وهذا النوع من اللباس خاص للنساء فقط[5].

وقد تحدث الشعراء في العصر الأموي عن هذا النوع من اللباس، وذكروه في أشعارهم، وهو يكشف عن صورة من صور الحضارة التي وصل إليها العرب في العصر الأموي، ومن الشعراء الذين أشاروا إلى ذكر الخمار في أشعارهم العرجي، حيث وصف الخمار الذي تضعه المرأة على وجهها، بأنه مصنوعٌ من الأقمشة الحريرية كالخز، يقول:

---

(1) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص103، وانظر الأغاني، ج1، ص122.

(2) اللسان: مادة (خمر).

(3) ديوان جران العود النميري، صنعة أبي جعفر محمد بن حبيب، تحقيق نوري حمودي القيسي، دار الرشيد، العراق، 1982، ص4، وانظر الملابس العربية في الشعر الجاهلي، ص121.

(4) سورة النور، الآية: 31.

(5) الملابس العربية في الشعر الجاهلي: ص119.

تَخَالُ خِمَارَ الخَزِّ من فَوْقِ جِيْدِه على فَرْعِ خَوْطٍ مِنْ إِبَاءٍ مُعَلَّقا[1]

أو قد تلبس المرأة الخمار الرقيق الناعم، لتكشف شفافية الخمار عن جمال وجهها وأسنانها، كما جاء ذلك في قول جميل:

وَشَفَّ عَنْهَا خِمَارُ القَزِّ عَنْ بَرَدٍ كالبَرْقِ لا كَسسٌ فِيْهَا ولا ثَقَلُ
كَأَنَّهُ أُقحُوانٌ بَاتَ يَضْرِبُهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مِنْقَاضُ النَّدَى هَطِلُ[2]

وهذه الملابس التي ترتديها المرأة بأنواعها المختلفة، لا تزيدها إلا جمالاً وإشراقاً، فالخمار لم يكن مؤثراً سلبياً على جمال المرأة، بل إنه يزيدها جمالاً وزينة، وهذا ما أشار إليه عمرفي قوله:

يُدْنِيْن مِنْ خِشْيَةِ العُيُوْنِ عَلَى مِثْلِ المَصابيحِ زَانَهَا الخُمُرُ[3]

وقد تتجرد المرأة أحياناً من الخمار، وذلك في مواقف معينة، عندما يكون هنالك لقاء بينها وبين الحبيب، يقول عمر:

وَاشْتَكَتْ شِدَّةُ الإِزَارِ مِن البَــــهْــ ـرِ وَالقَتْ عنها لديَّ الخِمَارا[4]

البُرْقُع

البُرْقُع: غطاء للوجه فيه فتحتان للعينين، ويلحق به خيطان تشدهما المرأة في قفا الرأس، وقال الليث: جمع البرقع البراقع، قال وتلبسها نساء الأعراب وفيه خرقان للعينين[5]، وهو خاص للنساء دون الرجال.

والبرقع له فوائد كثيرة، فعندما تضعه المرأة على وجهها فإنه يقيها حر الشمس ولفح السموم، كما أنه يحافظ على البشرة نقية واضحة، وهو أيضاً وسيلة من وسائل ستر الوجه عن الرجال[6].

---

(1) ديوان العرجي، ص269، الخز: الحرير، الجيد: مقدم العنق، الخوط: الغصن اللين.

(2) شرح ديوان جميل، ص159، شف: رق فأبان ما وراءه، البرد: حبات الثلج المتساقط مع المطر، الكسس: صغر الأسنان، الثقل: السن الزائدة خلف الأسنان أو دخول سن تحت أخرى في اختلاف المنبت.

(3) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص310.

(4) نفسة، ص263، البهر: انقطاع النفس من الإعياء.

(5) اللسان: مادة (برقع).

(6) صورة المرأة في الشعر الأموي، أمل نصير، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص88.

وقد كان البرقع معروفاً منذ العصر الجاهلي، واستمر وجوده في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، قال عدي بن زيد يهجو قوماً ويقول: ترك قولي على وجوهكم براقع سوداً.

فكيفَ ترونَ السَّعْيَ أسأرَ قبلُهُ   عَلَى نَقَبِ الوجوه سُوداً بَرَاقَعا[1]

ومن الشعراء الأمويين الذين أشاروا إلى البرقع في أشعارهم، توبة بن الحُمَيِّرَ الذي وصف ليلى وقد وضعت عنها البرقع حين زارها لتنذره بوجود خطر عليه من وشاة أو متربصين، وكان قد اعتاد من قبل سفورها، يقول:

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ ليلى تَبَرْقَعَتْ   فَقَدْ رَابَنِيْ مِنْهَا الغَدَاةَ سُفُورُهَا[2]

وكان الشعراء يستخدمون البراقع وسيلة لوصف عيون الحبيبة، فقد شبه الراعي عيون النساء التي استقلت الهوادج وكانت تضع البرقع على عيونها، بعيون الغزلان:

فَلَمَّا استَقَلَّتْ فِيْ الهَوَادِجِ أَقْبَلَتْ   بِأعينِ آرَامِ كُسِيْنَ البَرَاقِعَا[3]

كما أشار العرجي إلى وصف جمال عيون الحبيبة عندما تضع البرقع فهي في رقتها وجمالها كعيون الغزلان والبقر الوحشي، يقول:

بَانَتْ لَنَا بِعُيُوْنِ مِنْ بَرَاقِعِهَا   مَمْلُوْءَةٍ مُقَلَ الغِزْلانِ وَالبَقَرِ[4]

النِّقَاب

النِّقَاب: القناع على مارن الأنف، والجمع نُقُب،وقد تنقبت المرأة وانتقبت، وإنها لحسنة النِّقبة[5]،قال الفراء، إذا أدنت المرأة نقابها إلى عينها فتلك الوصوصة، فإن أنزلته دون ذلك إلى المحجر فهو النقاب،فإن كان على طرف الأنف فهو اللِّثام[6].

---

(1) ديوان عدي بن زيد الطائي، حققه محمد جبار المعيبد، شركة دار الجمهورية للنشر والتوزيع، بغداد، ص 1965، وانظر الملابس العربية في العشر الجاهلي، ص88.

(2) ديوان توبة بن الحمير، ص30، وانظر الأغاني، ج11، ص141.

(3) شعر الراعي النميري، ص134.

(4) ديوان العرجي، ص241، البقر: الغزلان.

(5) اللسان: مادة (نقب).

(6) اللسان: مادة (نقب).

وظهر هذا النوع من اللباس في الجاهلية واستمر وجوده إلى عصر صدر الإسلام وعصر بني أمية ولا يزال يستخدم إلى أيامنا هذه وهو من لباس النساء فقط.

ومن شعراء العصر الأموي الذين تحدثوا عن النقاب، ذو الرمة، الذي وصفه بأن المرأة تضعه على أرنبة الأنف، يقول:

تُثْني النِّقَابَ على عِرْنِينِ أَرْنَبَةٍ　　　شَمَّاءَ مَارِنُهَا بِالمِسْكِ مَرْثُومُ[1]

2.1.2 الطيب

لقد تحضر أهل المدينة في العصر الأموي تحضراً شديداً، وأدى هذا التحضر إلى ترف واسع في جميع مظاهر الحياة المختلفة، فأخذت النساء يتفنن في ملابسهن وحليهن وطيبهن، فعرفن أنواعاً مختلفة من العطور، ولم يقتصر الأمر على النساء بل شاركهنّ الرجال في ذلك.

لذلك ظهرت في شعر شعراء الغزل في العصر الأموي أنواع مختلفة من العطور، وما ذلك إلا مظهر من مظاهر الحضارة، ومن أنواع العطور التي ذكرها الشعراء في أشعارهم:

المِسْك

المِسْك: ضرب من الطيب، كانت العرب تسميه المشموم[2]، وهو دهّن يتخذ من نوع من الغزلان، تقطن في مناطق عدة كجبال الهند الشمالية، ووسط آسياً. وللمسك شهرة وقيمة عند العرب، لأنه قوي الرائحة، والرجال يستطيبون رائحة المسك في المرأة، ويمدحونها بأنها ممّسكة؛ لأن ذلك دليل النظافة والتجمّيل في مداومة المرأة على العطور[3].

ومن شعرا الغزل الذين ورد ذكر المسك في أشعارهم، عمر بن أبي ربيعة الذي وصف الحبيبة بأنها تحب العطر وتتطيّب به، فهو لم يشم منها إلا رائحة العطر الفّواحة، يقول:

---

(1) ديوان ذي الرمة، ص655.

(2) لسان العرب: مادة (مسك).

(3) الغزل في الشعر الجاهلي، ص134.

لَمْ يَرُعْنِيْ بَعْدَ أخذِ هَجْعةٍ غَيْرُ ريح المِسكِ منها والعُطُر[1]

ووصف ابن قيس الرقيات الحبيبة بالضخامة والامتلاء، فهي من ضخامتها قد ضاق عنها الإزار، لكنها تحافظ دائماً على تعطرها بخليط المسك والعنبر، يقول:

أوْقَدَتْها بالمِسْكِ والعَنْبَرِ الرَّطـــ ـــبِ فتاةٌ قَدْ ضَاقَ عنها الإزَارُ[2]

والشعراء بالغوا في وصف الحبيبة وهي تتضمّخ برائحة المسك، فالأخطل يصف رائحة فم الحبيبة، بأنها رائحة طيبة شبيهه برائحة المسك الذكي، يقول:

كأنَّ المِسكَ عُلَّ بِهَا ذكياً وراحاً خالط العَذْب الزُّلالا[3]

أما ذو الرّمة فقد أعجبته رائحة التراب المخلوط بعطر المسك،ويقول:

كَأَنَّ سَحِيْقَ المِسْكَ رَيَّا تُرَابِه إذَا هَضَبَتْه بالطِّلالِ هَوَاضِبُه[4]

وأحياناً كان هذا المسك يمزج بأنواع أخرى من العطور، وفي هذا إشارة إلى مدى التقدم والتطور الذي أحرزه العرب في مجال الصناعات، ومنها صناعة الطيب، فهذا النابغة الشيباني كان يشير إلى أن عطر حبيبته كان خليطاً من العبير والمسك، وأضيف إليه أيضاً العود الهندي، يقول:

وَقَدْ عَبِقَ العَبِيْرُ بِهَا وَمِسْكٌ يُخَالِطُه مِنْ الهنديِّ عُودُ[5]

وكان الشعراء يتفننون في اختيار أجمل التعبيرات، وابتداع أجمل الصور، في وصف هذا العطر، فجميل وصف ريق الحبيبة، كأنه مزج بماء غمامة أو خلط بالمسك، عندما تضع هذا العطر عليها في آخر الليل، يقول:

كَأَنَّ عَرِيْضاً مِنْ فَضِيْضِ غمامةٍ هَزِيْمِ الذُّرَى تَمْرِي لَهُ الرِّيحُ هَيْدَبَا
يُصَفِّقُ بالمِسْكِ الذَّكيّ رُضَابُهُ إذَا النَّجْمُ مِنْ بَعْدِ الهُدُوْءِ تَصَوَّبَا[6]

---

(1) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص207.

(2) ديوان ابن قيس الرقيات: ص23.

(3) شعر الأخطل (أبي مالك غياث بن غوث التغلبي)، ، ص78.

(4) ديوان ذي الرمة، ص53.

(5) ديوان النابغة الشيباني، ص97.

(6) شرح ديوان جميل بثينة، ص22-23، الفيض: ما انتشر من المطر، يصفق: يمزج، الرضاب: الريق، تصوب: تحدر.

أما الصمة بن عبد الله القشيري فقد وصف طيب الحبيبة، بأنه مخلوط من المسك والعنبر ونبات الخزامى ذي الرائحة الطيبة، لذلك فإن رائحة هذا الطيب تكون شهية وعبقة، كما أنها تدوم طويلاً، يقول:

أَتتنا بريحِ المِسْكِ خَالَط عَنْبَراً   وَرِيْحِ الخُزَامَى بَاكرتْها جَنُوْبَها[1]

ووصف الوليد بن يزيد ريق سلمى بأنه أشهى وأطيب من المسك المخلوط بالزنجبيل والعسل الذي لا يزال ممزوجاً قبل أن يصفّى، يقول:

فما مِسْكٌ يَعِلُّ بزنجبيلٍ   ولا عَسَلٌ بَالبانِ اللقاحِ

بأشهى مِنْ مُجَاجَةِ ريقِ سَلْمَى   ولا مَا فِيْ الزّقَاقِ من القَراحِ[2]

كما وصف الأحوص أيضاً ثياب الحبيبة عندما تفوح منها رائحة المسك ورائحة الخزامى:

كَأَنَّ ذَكيَّ المِسْكِ تَحْتَ ثِيَابِهَا   وَرِيْحَ الخُزَامَى طَلّةٌ تَنضحُ النَّدَى[3]

وحبيبة العرجي تتطيب أيضاً بأعطر الطيب الذي يسكر قلوب الذين يرنون إليها، حيث تفوح رائحة الخزامى الفّواحة من ثيابها، وكأنها خلطت بمسك.

تَفُوحُ خُزَامى طَلَّةٍ منْ ثِيابِهَا   تُخَالِطُ مِسْكاً أنبتَتْها الأجارِعُ[4]

بينما شبه عمر ريق الحبيبة بالعسل الممزوج بالمسك ذي الرائحة الفواحة، يقول:

فَبِتُّ أُسقَي عَتِيقَ الخَمْرِ خالَطَهُ   شَهْدٌ مشارٌ ومِسكٌ خَالِصٌ ذَفِرُ[5]

---

(1) ديوان الصمة بن عبد الله القشيري، ص31.

(2) شعر الوليد بن يزيد، جمعه وتحقيق حسين عطوان، مكتبة الأقصى، عمان، ط1، 1979، ص38، يعل: يمزج، اللقاح: جمع لقوح، وهي الناقة اللبون.

(3) ديوان الأحوص الأنصاري، تحقيق، محمد نبيل طريفي، عالم الكتب: بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م، ص79.

(4) ديوان العرجي، ص260، الخزامى: نبات من العطور له زهر طيب الرائحة الأجارع: جمع جرعاء وهي الرملة المستوية.

(5) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص222.

العَنْبَر

العَنْبَر: من الطيب معروف، وقيل: الزعفران، وقيل سمي بالعنبر لأنه يتخذ من جلد سمكة بحرية يقال لها العنبر[1]، وقيل هو دهن يخرجه نوع من الحوت، وهو ذو ألوان عدة، منها العنبر الرمادي الغامق، والعنبر ذو اللون الذهبي، والعنبر البني الضارب إلى الحمرة[2].

وقد اهتمت المرأة بهذا النوع من الطيب، وكانت تتخذه لتطيب به جسدها وثيابها، وقد استعملته النساء في الجاهلية، لتطيّب الملابس به، ومن ذلك قول ابن مقبل:

كَـــأنَّ القَـــرَنْفُل والزَّنْجبـــيلَ وَذَاكِي العَبير بجلْبَابِها[3]

كما ظل استخدام تلك العطور مستمراً، واستخدمته النساء في العصر الأموي، من أجل أن تطيب به ملابسها، وتحافظ دائماً على رائحتها الجميلة الفوّاحة، وباعتبار أن العطور بأنواعها المختلفة مصدر جاذبية للمرأة.

ومن شعراء العصر الأموي الذين ورد ذكر العنبر في أشعارهم، وكانوا يصفون به رائحة الحبيبة، عمر بن أبي ربيعة، حيث وصف جمال الحبيبة، ووصف رائحتها الجميلة كما أنها لطيفة الحديث في كلامها، وأن رائحة العنبر الذي تتطيب به كأنه قد خالطه القرنفل ذي الرائحة الطيبة:

خَـــوْرَاءُ آنِسَـــةٌ مُقَـــبَّلَهَا عَذْبٌ، كَأَنَّ مَذَاقَهُ خَمْرُ
والعنـــبرُ المَسْـــحوقُ خَالَطَـــه وقَرَنْفُلٌ يَأْتِيْ بِهِ النَّشْرُ[4]

كما وصف عمر هؤلاء الترائب اللواتي أتصفن بالبياض والنعومة، ويذكر حسنهن وأريج العطر الذي يفوح منهم، وهو مزيج من القرنفل واليلنجوج والعنبر، يقول:

يَفُوحُ القَرَنْفُلُ من جَيْبِها وَرِيْحُ اليَلَنْجُوْجِ والعَنْبرِ[5]

---

(1) اللسان: مادة (عنبر).
(2) الغزل في الشعر الجاهلي، ص137.
(3) ديوان ابن مقبل.ص55.
(4) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص292، النشر: الرائحة الطيبة المنتشرة.
(5) نفسه: ص318، جيبها: طوق قميصها.

وتحدث الشعراءُ الأمويون عن هذا النوع من الطيب، وأوردوه في أشعارهم، وقد أشار المتوكل الليثي إلى هذا النوع من العطور، في وصف جمال الحبيبة، التي تتصف بالرشاقة والجمال، ورائحة العبير التي تفوح منها، رائحة فواحة، يقول:

خُودٌ خَدلجَّة نَفْحُ العَبِيْرِ بِهَا ... يُشْفِي مَضَاجِعَها لُبْسٌ وتَجْرِيْدُ[1]

أما صاحبة عمر فقد كانت تهتز في مشيتها كالغزل، كما كانت تتبختر وتتهادى كالذي شرب مسكراً فأسكره، وكانت تضمخ ثيابها بالعبير، فتبدو منها الرائحة الفواحة، يقول:

عَبَقَ الثّياب من العبيرِ، مُبَتّلٍ ... يَمْشِي يَمِيْدُ كَمِشيَةِ النَّشْوانِ[2]

ومن أنواع هذا الطيب ما يستخدم لدهن الشعر بشكل خاص، حيث كانت المرأة تغذي شعرها به ليبدو لين الملمس رقيقاً ناعماً، وهذا ما أوضحه النابغة الشيباني حين ذكر محبوبته بأنها تغذي شعرها بهذا الدهن من العبير، يقول:

ولَهَا غدائرُ قَدْ عَلَوْنَ مَآكما ... يُغْذي العبيرَ أثيثها وسُخامُها[3]

الكَافُور

الكَافُور: أخلاط تجمع من الطيب تركب من كافور الطلح[4].

نلاحظ بأن المجتمع في العصر الأموي، وصل إلى مستوى متقدم من الحضارة والرقي، فلم يبق على حاله، كما كان من قبل، بل أصبحت الحضارة تلعب الدور الأكبر فيه، وظهرت ألوان هذه الحضارة على الرجال والنساء،فاستخدمت المرأة أنواع العطور المختلفة ومنها الكافور.

وقد ورد لفظ الكافور في الشعر إلى جانب حديث الشعراء عن المسك، وهذا ما كان واضحاً في قول النابغة الشيباني:

---

(1) ديوان المتوكل الليثي، ص211، خود: جارية ناعمة، خدلجة: ممتلئة الذراعين والساقين، نفح العبير: رشه وطيبه.

(2) ديوان عمر، ص646، مبتل: جميل المنظر، يميد: يتهادى ويتثنى.

(3) ديوان النابغة الشيابني، ص266، مأكم: جمع مأكمة وهي العجيزة الاثيث: الشعر الكثير، السخام: شعر لين الملمس رقيق ناعم.

(4) اللسان: مادة (كفر).

كَأَنَّ رِضَابَ المِسْكِ فوق لِثَاتُهَا وكَافُوْرَ داريُّ وراحٌ تَصفَّقُ[1]

وتخّيل عمر عطر المرأة التي تغزل بها فرائحة فمها أطيب من المسك والكافور، وقد علا بالراح والزنجبيل، يقول:

لَيْسَ طَعْمُ الكَافُوْرِ وَالمِسْكِ شِيباً ثم عُلاًّ بالرّاحِ والزَّنْجبيل

حين تَنْتَابُهَا بأطْيَبَ مَن فـ يها طُروقاً، إن شئتَ، أو بالمقيلِ

ذاك ظنّي، ولم أذُقْ طَعْمَ فيها، لا، ومَا في الكتابِ من تَنْزِيل[2]

أما الراعي النميري فقد جعل الكافور مع المسك والزعفران، يقول:

لَهَا لِثاثٌ وَأنْيَابٌ مُفَلَّجَةٌ كالأقْحُوانِ عَلَى أطْرَافِهِ البَرَدُ

يَجْرِي بِهَا المِسْكِ وَالكَافُوْرُ آونَةً والزَعْفَرانُ على لَبَّاتِها جَسَدُ[3]

الزَعْفَران

الزَعْفَران: صبغ معروف، وقيل: هو من الطيب، ومن خصائص هذا النوع من الطيب أنه ذو لون؛ لذلك فإنه يكسب المرأة اللون الذهبي الذي كان محبباً عندهم، وجمعه بعضهم وإن كان جنساً، فقال جمعه زعافير[4]؛ والمرأة تتخذ هذا النوع من الطيب تطيب به جسدها وثيابها.

يقول العرجي في وصف الزعفران:

فَبُغْيُت بَسأوي الزَّعفَرَانَ فَلَمْ أرِمْ مَعَ القَوْمِ حَتَّى لَمْ تُخِفْنِي المَرَاصِدُ[5]

وقال عمر يتحدث عن لبات صاحبته، ونحرها المشبعة بالزعفران:

وَالزَعْفَران عَلَى ترائبها شَرِقٌ به اللبّاتُ والنَحْرُ[6]

---

(1) ديوان النابغة الشيباني، ص44، الرضاب: الفتات، الداري: العطار منسوب إلى دارين، الراح: الخمر، تصفق: تصفى وتمزج.

(2) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص58، الراح والزنجبيل: من أنواع الخمور، شيب: خلط، عل: سقي مرة بعد أخرى، الطروق: المجيء ليلاً. المقيل: نومة نصف النهار، طعم فيها: طعم فمها، وما في الكتاب من تنزيل: أي أقسم بما أنزل في الكتاب العزيز.

(3) ديوان الراعي النميري، ص84، فلج الأسنان: تباعد بينهما.

(4) اللسان: مادة (زعفر).

(5) ديوان العرجي، ص208، بغت: من باغ بمعنى أشتم الرائحة، الشأد: السعي والنية.

(6) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص265، اللبات جمع لبة موضع القلادة.

أما النابغة فقد ذكر الجادي منه، يقول:

وَإِذَا مَا جَرَى الجَادي فوق متونها   وَمِسكٌ ذَكِيٌّ حفَّفْتها المجامرُ[1]

الجادي: الزعفران، وهو من أنواع الطيب.

وأشار إلى هذا النوع أيضاً، العرجي، حيث وصف قلادة المحبوبة المصنوعة من الزهر، وقد تركت على جيدها رائحة العطر تفوح كأنها رائحة المسك أو العبير، يقول:

مِسكاً وَجَادِي العَبِيْرِ فَأَشْرَقَا   حَتّى كَأَنَّ دَماً يُقَالُ أَصَابَهُ[2]

الزَنْجَبيل

الزَنْجَبيل: مما ينبت في بلاد العرب، وهو عروق تسري في الأرض، والعرب تصف الزنجبيل بالطيب وهو مستطاب عندهم[3]، وفي القرآن الكريم: "كأن مزاجها زنجبيلا"[4].

والتفت الشعراء في العصر الأموي إلى هذا النوع من العطور، وذكره شعراء الغزل في أشعارهم، فجميل صاحب بثينة، جعل ريق الحبيبة كأنه الشهد وقد مازجه الزنجبيل والعسل والماء الزلال، يقول:

عَذْبٍ كَأَنَّ ذَكِيَّ المِسْكِ خَالَطَهُ   والزَّنْجَبِيْلُ وَمَاءَ المُزْنِ والشُّهُدُ[5]

الخُزَامَى

الخُزَامَى: نبت طيب الريح، واحدته خزاماة، وهي عشبة طويلة العيدان، صغيرة الورقة، حمراء الزهرة، طيبة الريح، لها نور كنور البنفسج[6].

وبالغ شعراء الغزل في العصر الأموي في وصف النساء، وهن يتطيبنَّ بريح الخزامى، الذي يسكر القلوب ويخلب الألباب، فالعرجي يصف الحبيبة بأنها تتطيب

---

[1] ديوان النابغة الشيباني، ص61، المجامر: جمع مجمر وهو الذي يوضع فيه النار والبخور.

[2] ديوان العرجي، ص176.

[3] لسان العرب: مادة (زنجبيل).

[4] سورة الإنسان: الآية 16.

[5] شرح ديوان جميل، ص51، المزن: السحاب، الممطر، الشهد: العسل.

[6] اللسان: مادة (خزم).

بأعطر الطيب الذي يسكر قلوب الذين يرنون إليها، فكيف بالذين يلهون ويمرحون معها، وقد بلغت رائحتها حداً أشبهت فيه ريح الخزامى، يقول:

تَفُوحُ خُزَامَى طَلَّةٍ مِنْ ثِيَابِهَا   تُخَالِطُ مِسكاً أنْبَتَتْهَا الأجَارِعُ[1]

وقال جرير واصفاً الرائحة الفوّاحة من ملابس محبوبته، وأغطيتها بنشر الخزامى:

كَأنَّ نَشْرَ الخُزَامى فِي ملاحفِها   قد بَلَّ أجْرَعها طلٌّ وتهييمُ[2]

البخور

البخور: عود يتبخر به، أي يطيَّب به[3]، وقد كان البخور من الروائح العطرية المحببة عند العرب منذ القديم، فشعراء العصر الجاهلي كانوا يتبخرون بهذا النوع من العطور نظراً للرائحة المحببة له، كما أن الشعراء في العصر الأموي قد استعملوا هذا النوع من العطور وذكروه في أشعارهم، ومن أنواعه اليلنجوج، قال الأخطل يصف ترف النساء، حيث أن النساء المترفات لا يجلسن حول النار في وقت الشتاء إلا ورائحة البخور تفوح على الفحم، يقول:

لا يَصطَلِيْنَ دُخَانَ النَّارِ، شَاتِيَةٍ   إلاَّ بِعُوْدِ يَلَنْجُوْجٍ، علَى فَحْمِ[4]

والاعتناء بالطيب والاهتمام به لم يكن مقتصراً على النساء دون الرجال، بل إن الرجال والنساء شاركوا في هذا الأمر، فكان الرجال ينافسون النساء على اتخاذ الطيب والتعطر به.

فالذي سجله الشعراء في أشعارهم هو ذكرهم لعطور النساء ووصفهم لها، أما ما كانوا يتعطرون به، فلم يجدوا له مسوغاً لذكره في غزلهم.

3.1.2 الزينة

اتسع الثراء في العصر الأموي اتساعاً واسعاً، وظهر في جميع المظاهر المختلفة نتيجة اتصال العرب بحضارات الأمم الأخرى، فتعلق العرب بأسباب من

---

(1) ديوان العرجي، ص260، الأجارع: جمع جرعاء وهي الرملة المستوية.

(2) شرح ديوان جرير، ص388.

(3) اللسان: مادة (بخر).

(4) شعر الأخطل (صنعة السكري) ج1، ص222، الشاتية: الشتاء، اليلنجوم: عود يتبختر به.

حضارة الأمم التي ظهرت، فتعرفوا على بعض سبل لهوهم وعيشهم وطرق معيشتهم، ونتيجة لهذا الثراء تفنن العرب في العصر الأموي بالزينة وبأصناف الحلي بأنواعها وأشكالها المختلفة، التي وصلت إليهم بفعل الحضارة الجديدة، لكن اهتمام الناس في هذا العصر بتلك المظاهر فد بلغ أوجه خاصة عند الطبقة الحاكمة والمترفة، التي كانت تعيش في بذخ وترف واسع، ولم يقتصر ذلك على النساء دون الرجال، بل نافس الرجال النساء في التزين واتخاذ العقود المختلفة.

ومن أدوات الزينة التي كانت بارزة في شعر شعراء الغزل في العصر الأموي، الحلي بأنواعه المختلفة. والحَليّ: هو ما تتزين به المرأة من مصوغ المعدنيات أو الحجارة وجمعه حُلِيّ[1]، وحلي المرأة من أخص خصائصها في كل عصر، وفي كل شعب، تضيف به إلى جمالها جمالاً، وتزهى به وتفاخر وتكاثر وتختلب ألباب الرجال[2].

وقد رغبت النساء العربيات في اقتناء الحلي واللآلئ يتزين بها، ويروى أن حفصة بنت أنس بن مالك كانت تقول: "كان أبي يحلينا بالذهب ويكسونا الحرير"[3]؛ وكان أهل المدينة في يسار ونعمة طوال العصر الأموي وكان يقترن بهذا الثراء ضروب واسعة من الحضارة لم تعرفها المدينة من قبل [4]، ونتيجة لهذا الثراء تفننت النساء في التنوع في ضروب الأزياء والحلى بمختلف أنواعها، وكان هذا التزين وذاك الحلى، يدل على أن قلب الجزيرة كان وثيق الصلة بأطرافها وبالممالك المجاورة لها، يجتلب منها الأنواع المختلفة من الحلي والملابس وأدوات الزينة التي تظهر جمال المرأة[5]، كما أن بلاد العرب توافرت فيها مواد أولية، كانت صالحة لأن تدخل في صناعة أنواع مختلفة من الحلي، تتمثل هذه المواد في الأحجار الكريمة وبعض المعادن الأخرى[6].

---

(1) اللسان: مادة (حلا).

(2) الغزل في العصر الجاهلي: ص124.

(3) عمر بن أبي ربيعة، (عصره)، ج1، ص36.

(4) الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ص29.

(5) المرأة في الشعر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ص397،

(6) نفسة، ص 397.

وقد كان ارتداء الكساء الفاخر والتزين بالحلى الغالية والنادرة من حظ النساء الثريات المترفات، وكان هذا يشعر بعلو مكانتهن وعظم تقديرهن واهتمامهن البالغ في تزينهن[1]، وما في طبع المرأة من ميل شديد إلى التألق والتزين، والإظهار دائماً بمظهر جميل[2].

وكان الحلى شائعاً في العصور القديمة عند الأمم التي اتصل بها العرب، فكانت النساء تتزين بالعصائب والخواتم والأساور والخلاخيل والعقود والأحراز الثمينة والأحزمة المحلاة بالأحجار واللآلئ والأقراط، وكان خضاب الأظفار شائعاً والكحل بالإثمد أيضاً، واستعملت النساء الشعر المستعار، فجعلته كثيفاً مضمخاً بالطيب معقوداً بأشرطة من اللآلئ[3].

أصناف الحلي

تنوعت الحلي، وتعددت أصنافها لكل عضو من أعضاء الجسم، فمنها ما يعلق على الصدر، ومنها ما يوضع في الأيدي والأصابع، ومنها ما يوضع في الساق، وفي الأُذن، وقد ساعد على كثرة الحلي أن اللؤلؤ في الخليج العربي، والمرجان في البحار المحيطة ببلاد العرب، وكان التجار يفدون إلى الجزيرة يقايضون اللؤلؤ والمرجان بالذهب والفضة والزمرد والزبرجد والياقوت وغيرها مما كان في الجزيرة[4].

وقد توافرت معادن الذهب والفضة في جزيرة العرب، وكانت بلاد اليمن مليئة بمناجم الذهب الخالص والفضة، وظهر الذهب والفضه في الشعر الجاهلي، وتحلت بهما النساء واتخذتها زينة لإظهار جمالها وأنه دليل التنعم والترف[5]، وقد تغّنى الشعراء في العصر الجاهلي بهذه المظاهر في أشعارهم، ليظهروا من ذلك زينة المرأة وجمالها.

---

(1) السابق، ص397.

(2) الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ص34.

(3) الغزل في الشعر الجاهلي، ص124-125.

(4) نفسه، ص126.

(5) مظاهر الحضارة المادية في الشعر الجاهلي، ماهرة المبيضين، رسالة جامعية، الجامعة الأردنية، 2002م، ص38.

ومن شعراء العصر الأموي الذين ورد في أشعارهم الذهب، عمر بن أبي ربيعة، الذي وصف الحبيبة بأنها كانت تتحلى بالحُلى الثمينة، بشذر من ذهب وقلائد من ذهب أيضاً، يقول:

مثلُ غزالٍ يَهتَزُّ مِشيَتُه أَحْوَى عليه قلائدُ الذهبِ[1]

أما الأخطل فقد وصف جمال المحبوبة، فهي بيضاء جميلة ومترفة، وكانت تزيد هذا الجمال بما تتحلى به من الدر والذهب، يقول:

مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ مِكْسالٍ، بَرَهْرَهَةٍ زانت معاطِلَها بالدُرِّ، والذَّهب[2]

كما عرفت نساء العصر الأموي الفضة، والفضة لها مكانة عظيمة وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم: "عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً"[3].

فالفضة تعد عنصراً مهماً للزينة، وقد شبهت الوجوه الحسان بالفضة لشدة صفائها وجمالها.

وشبه عروة بن أُذينة وجه المحبوبة في صفائه وإشراقه بالفضة، يقول:

دَوَّايَةُ المُقلَتينِ مُشْرِقَةٌ بالحُسْنِ يَجْري في مائها دَمُهَا
كفِضَّةِ الكَنْزِ أَشْرَبَتْ ذَهَباً يَكَادُ طَرْفُ الجَلِيس يَكْلِمُها[4]

ومن أصناف الحلي:

القلادة: هي ما يجعل في العنق، والجمع قلائد[5]، وحظيت القلادة بجانب وافر في الشعر الأموي، كونها من أدوات الزينة الأكثر استعمالاً، وقد تخذتها المرأة لتزين بها جيدها، وهي حُلى الجيد والعنق، وقد وصف الأخطل الحبيبة بأنها جميلة ذات خد أسيل، وقد زاد هذا الجمال جمالاً، القلادة التي وضعتها في جيدها، يقول:

---

(1) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص94، الأحوى: الذي في شفتيه حوة، أي سواد إلى بياض.

(2) شعر الأخطل، ج1، ص242.

الرهرهة: البراقة الصافية اللون معاطلها: موضع حليها

(3) سورة الإنسان، الآية: 21.

(4) ديوان عروة بن أذينة، ص79، أشربت: خلطت، يكلمها: يجرحها.

(5) اللسان، مادة (قلد).

وخدًا أسيلاً غيرَ زَغْبٍ مَقَدّهُ بُمذْهَبِهِ فِيْ الجيد قد فُتِلَتْ فَتْلا[1]

تهتز القلادة من ذهب مفتولة وفي ذلك إشارة إلى شكلها.

ولم تكن هذه القلائد مصنوعة من الدر والياقوت،أو المصوغات والمجوهرات الأخرى فحسب، بل قد تتخذ من القرنفل والمحلب ليس فيها من الجواهر واللؤلؤ، كما هو الحال في السخاب الذي ذكره العرجي، يقول:

فَبَدَا وَمَا عَمِدَتْ بِذَاكَ تَبَرُّماً جِيْدٌ يَمُجُّ عَلَى اللَّبات سَخَابُه[2]

الخَلْخَال

الخَلْخَال كالَخلْخَل والخَلْخَل ذا الخَلْخَال: الذي تلبسه المرأة وتخلخلت المرأة، لبست الخلخال، ورجل خلخال فيه خشونة[3]، وقد أكثر شعراء الغزل في العصر الأموي من ذكر هذا النوع من الحلي في أشعارهم كما وتزينت به النساء، وكانت المرأة تضعه في ساقها.

وهناك من الشعراء من أحب أن تكون الساق ممتلئة، بحيث تصمت الحجال أو الخلاخيل وهي تجول بها كما تصمت الدمالج في الذراع، وقد أشار إلى هذا عمر ابن أبي ربيعة، يقول:

مُشْبع الخَلْخَالِ والقُلْبينَ (م) صَـــــيَّادِ القُلـــــوب[4]

ويقول عمر أيضاً في وصف الخلخال عندما يوضع في الساق حيث يصف الحبيبة بأنها مستديرة الساق، وأن هذا الخلخال مشقوق لسمن ساقها، يقول:

مَمْكُوْرَةُ السَّاقِ مَقْصُوْمٌ خَلاخِلُهَا فَمُشْبَعٌ نَشِبٌ منها ومُنْكَسِر.[5]

وأحب الشعراء في المرأة أن تكون صموت الُخلْخَل، أي التي لا يجري خلخالها في ساقها، لامتلائه واكتنازه، قال الحارث بن خالد المخزومي:

---

[1] شعر الأخطل، ج2، 584.

[2] ديوان العرجي، ص176، التبرم: الضيق والسأم، الجيد: مقدم العنق، اللبات: الصدر، يمج: يرمي،.السخاب: القلادة من قرنفل أو نحوه.

[3] لسان العرب: مادة (خلخل).

[4] ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص98.

[5] نفسه، ص218، ممكورة الساق: مستديرة الساق، مقصوم خلخالها: أي مشقوق لسمن ساقها.

أغَــرُ مَمَكُــوزٌ هَضِــيْمُ الحَشَـــى وَقَدْ ضَاقَ عَنْهَا الحَجْلُ والدمْلُجُ[1]

والحبيبة عند الأخطل من ذوات الزينة المترفات، حيث تطالعها حيناً بعنقها، وحيناً آخر تظهر له موضع الخلخال من قدمها، يقول:

كَانَتْ تُرِيكَ إذَا نَظَرَتْ أَمَامَهَا مَجْرَى السُّمُوْطِ، وَمَرَّةً خَلْخَالَها[2]

وأورد الأخطل، صورة أُخرى للخلخال، أشاعت فيها الحياة والحركة، حيث شبّه به خصر فتاته بما حوى من ساق ممتلئة، يقول:

بِغَرِيرةٍ، نفح النَّعِيْمُ شبَابَها غَرْثَى الوِشاحِ شَبِيْعةِ الخَلْخَال[3]

والعرجي يصف عفة الحبيبة وأخلاقها، فهي عندما تمشي تغض ببصرها إلى الأرض حياءً، كما أنها ذات جمال أخّاذ فهي نحيلة الخصر، ومن ضخامة ساعدها ضاق عنها السوار، كما ضاق عنها الخلخال، يقول:

شَخْصٌ غضيضٌ الطَرْفِ مُضْطمرُ الحَشَا عَبْلُ المُدَمْلَجِ مُشْبَعٌ خَلْخَالُهُ[4]

الوِشَاح

الوِشَاح: نسيج عريض من أديم، يرّصع بالجوهر، وتشده المرأة بين عاتقيها، وتوشحت المرأة: إذا لبست الوشاح[5]، وفي اللسان الوشاح: كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان، مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، تتوشح به المرأة، والجمع أوشحه[6].

ومن شعراء الغزل الذين ورد ذكر الوشاح في أشعارهم العرجي، فقد وصف جمال الحبيبة عندما تلبس المرط، وتضع الوشاح فوقه، يبدو خصرها دقيقاً:

---

(1) شعر الحارث بن خالد ، يحيي الجبّوري ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ،ط1392،1-1972م،ص 48.

(2) شعر الأخطل، ج2، ص687.

(3)شعر الأخطل ، ص69. الغريرة: المرأة الحسناء، نفح: ملأ وعظم، المشبعة الخلخال: الممتلئة الساق.

(4) ديوان العرجي، ص306، الغضيض الطرف: المطرف ببصره إلى الأرض حياءً، المظطمر: النحيل الضامر، الحشا: البطن، العبل: الضخم، المدملج: سوار الساعد.

(5) الصحاح: مادة (وشح).

(6) اللسان:مادة (وشح).

شَجَى الحِجْلِ يَغْتَالُ العَجِيْزَة مُرْطُهُ   وَأَمَّا وِشَاحَاهُ عَلَيْهِ فَأَمْلَقَا[1]

ووصف عروة بن أذينة أيضاً ضمور خصر صاحبته، وكيف يظهر جمالها وزينتها عندما تضع الوشاح، يقول:

وَفَوْقَ ذَاكَ عسَيبٌ للوِشاحِ بِهِ   مَجْرَى لِكَشْحٍ أُلُوفِ السِّتْرِ مِعْطَارِ[2]

كما بيّن عمر جمال الحبيبة عندما تضع الوشاح، فهي ناعمة جميلة ذات خصر رشيق، يبرز جمالها من خلال المرط:

مُهَفْهَفَةٌ غَرَّاءُ، صِفْرٌ وشاحُها،   وفي المِرْطِ منها أَهِيَلٌ مُتَراكِم[3]

فالمرأة في العصر الأموي كانت تتفنن في تزينها من حيث اللباس والزينة والتطيب، وذلك من أجل أن تبرز بمظهر جميل فتّان، يبرز حضارتها واهتمامها بنفسها ويدل على أنها امرأة منعمة ذات تيه ودلال.

العِقْد

العِقْد: الخيط ينظم فيه الخرز، وجمله عقود، وقد اعتقد الدُّرُّ والخرز وغيره، إذا اتخذ منه عِقداً[4].

فالعِقد الذي يزين صدر المرأة، يصوِّر بعض ما كانت تتزين به، من مظاهر الزينة المختلفة، ويضيف أيضاً جمالاً إلى جمالها.

فشعراء الغزل كان اهتمامهم بارزاً بتلك المظاهر الحضارية، بمختلف أشكالها وألوانها، فكُثَيِّر عزة يرى أن العقد الذي يزين صدر المرأة يبرز شكلها وأناقتها، لأن هذا العقد مكون من در ثمين، وقطع صغيرة من الذهب، حيث غدا لون هذا العقد يشبه جمر الغضا، يقول:

إِذَا ما أرادَ الغَزْوَ لم تَثْنِ عَزْمَه   حَصَانٌ عليها نظمُ دُرٍّ يَزِيْنُهَا[5]

---

(1) ديوان العرجي، ص269، الشجى: الذي علق في حلقه الشجا، وهو العظم أو العود يعلق في الحلق، يغتال: يغطي ويخفي.

(2) شعر عروة بن أذينة، ص197، العسيب: القسم الأجرد من السعفة لا ينبت عليه الخوص، الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع، المعطا: الكثير.

(3) ديوان عمر، ص536، أهيل متراكم: كثيب رملي منهال، وهو كناية عن الردف.

(4) اللسان: مادة (عقد).

(5) ديوان كُثَيِّر عزة، ص365، الحصان: المرأة العفيفة المصون، لم تثن عزمه: لم تمنعه وتثبطه .

وهذا العقد الذي تتزين به المرأة قد يكون من العقد المنظوم باللؤلؤ، وأشار العرجي إلى هذا حينما وصف الحبيبة بأنها كانت تتزين بعقد من اللؤلؤ المنظوم، وتضيف إلى ذلك أيضاً الأساور، يقول:

تَعلَّقَ هَذَا القَلْبُ لِلْحِيْنِ مَعلَّقاً   غَزالا تَحلّى عِقْدَ دُرٌ ويارقا[1]

البَرِيم

البريم:– من الحلي تشده المرأة على وسطها وعضدها، وهو خيط فيه ألوان تشده المرأة على حقويها[2]، وقال الليث: البريم خيط ينظم فيه خرز فتشده المرأة على حقويها، وشعر الغزل الأموي، لم يخلُ من وصف هذا النوع من الحلى بكونه مظهراً من مظاهر جمال المرأة، فالمرأة في العصر الأموي بالغت في تجملها وتزينها، فهي تضع البريم على خصرها ليبدو أكثر جمالاً، وعمر وصف المحبوبة بأن تشد بريمها على وسطها، وعضدها بحبل بريم من لونين مزين بالجواهر، يقول:

فَبَهُتَ بدُرِّ حليها، ووشاحها   وبَرِيمها وسوارها، فالدُّمْلُجِ[3]

القُرْط

القُرْط: هو الشُنُفُ، وقيل: الشِنْفُ في أعلى الأذن، والقرط في أسفلها، وقيل: القِرْطُ يعلق في شحمة الأذن والجمع أقراط وقِراط وقِرُط وقرطة[4].

ويعتبر القرط والتجمل به، وسيلة من وسائل تزين المرأة وتجملها فهو يضفي على أذنيها جمالاً آخر، كما أنه مظهر من المظاهر الحضارية التي ظهرت في أشعار شعراء الغزل في العصر الأموي.

وورد ذكر القرط في شعر كُثَّير عزة، عندما وصف الحبيبة، فهي امرأة شماء طويلة القامة يليق بها التحلي بالقُرط، يقول:

مِن الشُمّ مِشْرَافٌ يُنِيفُ بِقُرْطِهَا   أَسِيلٌ إِذَا مَا قُلِّدَ الحَلْيَ وَاضِحُ[5]

---

(1) ديوان العرجي، ص268، للحين: منذ اللحظة الأولى، اليارق: نوع من الأساور.

(2) اللسان: مادة (برم).

(3) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص134، بهت: راحت تباهي وتفاخر.

(4) اللسان: مادة (قرط).

(5) ديوان كثير عزة، ص103، الشم: رافعات الأنوف، مشراف: طويلة القامة كأنها تشرف على ما حولها، ينيف: يعلو، القرط: حلية تعلق في الأذن ، الأسيل: الخد الأملس الناعم.

كما ورد ذكر القرط في شعر الطرماح، إذ ذكر بأنه لا خير في رجلٍ يجالس زوجته ويعاشرها، وعندما يعدم من المال فإنه يبيع قرطيها، يقول:

لا خَيْرَ في رَجُلٍ يُجَالِسُ عِرْسَهُ وَيَبِيْعُ قُرْطَيْهَا إِذَا مَا أَعْدَمَا[1]

السوار والإسوار: وهو القُلب أيضاً وموضعه المعصم، ويبدو جميلاً مثيراً حينما تكون الساعد ممتلئة[2]، وجاء في التهذيب، أن الأساور تكون من فضة، وهذه الأساور قد يصاغ منها أشكال مختلفة ومن هنا يبرز المظهر الحضاري فيها، وقد كثر الحديث عنها في الشعر الجاهلي، لما لها من مظهر جمالي بارز، كما أكثر شعراء الغزل في العصر الأموي من الحديث عنها، فالأخطل يصف الحبيبة بأنها ممتلئة، حتى أن السوارّ والخلخال يضيقان عليها، يقول:

إِذَا مَا القَلْبُ والخلخال ضاقا جَرَى مِنْهَا وِشَاحَاهَا فَجَالا[3]

كما تحدث جرير عن السوار الذي يوضع في اليد، وإن هذا إنما يدل على ترف المرأة ونعيمها، يقول:

وَمَا عَابَ الجُلا ظِهُورُ عِرْقٍ إِذَا أجتلبت ولا ملق السّوار[4]

4.1.2 المظاهر الأخرى

الخضاب والكحل

ومن مظاهر الحضارة الأخرى، التي كانت ظاهرة في العصر الأموي وأهتمت بها المرأة اهتماماً بارزاً، بكونهما من وسائل زينتها وجمالها الخضاب والكحل، وورد هذا النوع من الزينة والجمال في شعر شعراء الغزل في العصر الأموي، ووصفوا به النساء الجميلات.

فلمّا اتسع الإسلام وانساح العرب في الأرض تعلموا فنون الخضاب، فصاروا يخضبون بالحناء للحمرة وبالزعفران للصفرة، فضلاً عن الخضاب الأسود[5]، ولكن

---

(1) ديوان الطرماح، ص468، عرس الرجل: زوجته، القرطان: من حلي النساء يعلقان في الأذن.

(2) لسان العرب، مادة (سور).

(3) شعر الأخطل، ج2، ص43.

(4) شرح ديوان جرير، ص227.

(5) الغزل في العصر الجاهلي، ص142.

الإهتمام بهما زاد منذ العصر الجاهلي، فقد ذكر الشعراء في أشعارهم الخضاب والكحل والحناء بشكل بارز.

وتتجلّى صورة الكحل في عيون الحبيبة، التي لم تخرج عن إطار التشبيه بالظبي، وإن كانت قد جمعت إلى الكحل حَوَراً يزيدها جمالاً على جمال[1]، وقد أوضح عمر هذا في وصف الحبيبة،إذ يقول:

طَيِّبُ النَّشْرِ، وَاضِحٌ، أَحْوَرُ العَيْنِ، أَكْحَلُ[2]

وقال عمر أيضاً:

ظَبْي تُزَيِّنهُ عَوَارِضُهُ، والعَيْنُ زَيَّنَ لَحْظَهَا كُحُلُهْ[3]

كما وصف الأحوص دموع الحبيبة، وقد اختلطت بالكحل:

وَقَدْ عَجَبْتُ لِمَا قَالَتْ بِذِي سَلَمٍ وَدَمْعُهَا بسحيق الكُحْلِ يَطَّرِدُ[4]

أما عدي بن الرقاع فقد شبّه أطلال الحبيبة بكحلِ العين، يقول:

مَوْضِعُ الأَنْضَادِ لأياً مَا يُرَى وَرَمَادُ مثل كُحْلِ العَيْنِ هاب[5]

والنساء في العصر الأموي كُنّ يخضبنّ أيديهنّ وأناملهن بالخضاب الذي كان يزيدهنّ جمالاً وإشراقاً، وقد ورد الخضاب في شعر شعراء الغزل في العصر الأموي بكونه مظهراً حضارياً من مظاهر الحضارة التي أتخذها العرب.

فهذا مجنون ليلى يصف الحبيبة عندما ترمى الحصى في الحج، حيث تبدو من كُم ثوبها أطراف الأصابع المخضبّة بالحناء، يقول:

ويُبْدِيْ الحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ من البُرْدِ أطراف البنان المُخضب[6]

وكانت المرأة في العصر الأموي تحافظ دائماً عن تجملها وزينتها فالعسرجي يصف الحبيبة، بأنها دائماً ذات كحل وخضاب وتطّيب، يقول:

---

(1) صورة المرأة في شعر الغزل الأموي، رفيق عطوي، دار العلم للملايين، ط1، 1986، ص160.

(2) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص462، طيب النشر: طيب الرائحة المنتشرة.

(3) نفسه، ، العوارض: صفحة العنق وجانبا الوجه. ص501.

(4) ديوان الأحوص الأنصاري، تحقيق محمد نبيل طريفي، ص70، ذو سلم موضع، سحيق الكحل: مسحوقة.

(5) ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص42، نضد: جمع نضاد، وهو ما ينضد من المتاع.

(6) ديوان مجنون ليلى، ص42، البنان المخضب: أطراف الأصابع.

شُعْثٍ تَعَطَّلْنَ لَمْ يَعْرَيْنَ مِنْ كُحُلٍ ولا خِضَابٍ ولا غَسْلٍ ولا دُهُنِ[1]

ومن أنواع الخضاب الذي كانت تستعمله المرأة في العصر الأموي ليزيدها زينةً وجمالاً الحناء، والحناء غير الخضاب؛ فالخضاب ما يخضب به من حناء، واختضبت بالحناء ونحوه، وخضب الشيء يخضبه خضباً وخضَّبه غّير لونه فحمرة أو صفرة أو غيرها[2].

أما الحناء، فهو أخص منه، وحنأً لحيته وحنّا رأسه تحنيئاً وتحنئة خضبه بالحناء[3].

ومن الشعرا الذين ورد ذكر الحناء في أشعارهم يزيد بن الطثرية، في وصفه للحبيبة، عندما خضّبت به شعرها وكفيها، يقول:

وأَسْوَدُ مَيّادُ على جيدِ عَوْهجٍ جِعَادِ النَّوَاحِي غير زُعْرٍ ذوائبهُ
ورخص به الحناء لم يعد أن جلا أكمته بعد التثبُّتِ خاضبَه[4]

العناية بالشعر وتمشيطه

لقد بلغت الحضارة أوجها في العصر الأموي، وزاد الاهتمام بجميع المظاهر الحضارية، وقد دفع إلى هذا الثراء الفاحش الذي تمتع به أهل المدينة، فزاد اهتمام المرأة بمظاهر زينتها وأناقتها، فاخذت بالاهتمام بشعرها وتمشيطه وتسريحه. وتناول شعر الغزل تلك المظاهر الحضارية، فوصفوا شعر المرأة بكونه مظهراً من المظاهر الجمالية التي تزيدها جمالاً.

ومن الشعراء الذين وصفوا شعر المرأة العرجي، فقد سلبت عقله حينما رأى شعرها الكثيف الأسود صباح عيد الأضحى، وقد تداخل بعضه فوق بعض كعناقيد الكرم، وتدلت ذوائبه، يقول:

---

(1) ديوان العرجي، ص334، شعث: جمع أشعث وهو المتفرق الشعر، تعطلت المرأة: تخلت عن حليها، الكحل: السواد حول العين، الخضاب: الصباغ.

(2) اللسان: مادة (خضب).

(3) اللسان: مادة (حنأ).

(4) دوان يزيد بن الطثرية، ص47، العوهج: الطويلة، زعر: تفرق الشعر وقلته. وانظر المظاهر الحضارية عند شعراء الغزل ، 85.

سَبَتْنيْ غَدَاةَ النَّحْرِ مِنْهَا بِفَاحِمٍ وَذِيْ أَشُرٍ أَطْرَافُهُ لَمْ تَثَلَّمِ[1]

كما كانت المرأة في العصر الأموي تهتم بشعرها وترجله، وتستعمل له الدَّهن وماء الورد، وقد وصف الراعي شعر الحبيبة بأنه أسود مسرّح طويل تضع عليه الدهن وتغسله بماء الورد، يقول:

والواضحُ الغُرُّ مَصقُولٌ عَوَارِضُه والفاحِمُ الرَّجلُ المُستَوْرِدُ الداجي

وَحْفٍ أَثيثٍ على المتنينِ مُنسدِلٍ مُستَفْرِغٍ بِدَهانِ الوَرْدِ مَجّاجٍ[2]

أما المرأة في العصر الأموي فقد كانت تحب دائماً أن تظيف إلى جمالها جمالاً ولا يقتصر هذا الجمال على جانب واحد فقط بل يشمل جميع الجوانب لإبداء زينتها، لذلك عرفت المرأة التسريحات المختلفة ومنهن السيدة سكنية بيت الحسين، وفيها يقول صاحب الأغاني: "إنها كانت أحسن الناس شعراً، وكانت تصفف جُمَّتها لم ير أحسن منه، حتى عرف ذلك، وكانت تلك الجُّمة تسمى السُّكينة، وكان عمر بن عبد العزيز في ولايته على المدينة، إذا وجد رجلاً يُصفّف جُمته السكينية جلده وحلقه"[3].

ونتيجة لغزارة شعر المرأة وكثافته والاعتناء به، فقد استخدمت نساء مدربات على تمشيط الشعر وتطيبه بالمسك وتضفيره، وقد شكت إحدى صواحب عمر إلى عمتها كثافة شعرها، وأنه أعيا المواشط اللواتي كانت تعهد إليهن أن يضفّرنه لها[4]:

تَقُولُ: يا عَمّتَا، كُفّي جوانبه، ويلي بَليتُ، وأبْلَى جيديَ الشَّعَرُ

مثل الأساود قد أعيا مواشطَهُ، تَضِلُ فيه مداريها، وتنكسر

فإن نَشَرْتَ على عمدٍ ذوائبَها، أبصرت منه فتيتَ المسك يَنتَشِرُ[5]

---

[1] ديوان العرجي، ص323، غداة النحر صباح عيد الأضحى، الفاحم: الشعر الأسود الكثيف، ذو الأشر: الفم ذو الأسنان المتباعدة المحددة. تثّلم: تكسّر.

[2] ديوان الراعي النميري، ص118-119، الرجل: المرجل وهو الشعر المسرح الوحف: الشعر الأسود، الأثيث: الغزير الطويل.

[3] الأغاني، ج14، ص165.

[4] عمر بن أبي ربيعة (جبه وشعره) ج3، ص535.

[5] ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص332-333. الأساود: الحيات والمداري: جمع المدرى: المشط، ذوائبها: خصل شعرها.

ووصف المتوكل الحبيبة بالترف، فلها شعرٌ أسود طويل ناعم، وهناك من النساء من يقوم على غسل شعرها بالدهن ويسرحه لها، يقول:

وَأسْحَم مجَّاج الدَّهانِ كأنَّهُ بأيدي النِّساءِ الماشِطاتِ مَثْاني[1]

كما أخذت المرأة تغسل شعرها بالمسك والطيب، فحبيبة عمر تطيّب شعرها بالمسك ليصبح ناعماً مسترسلاً، يقول:

وبفَرعٍ . حُدِّثته، كالمثاني عُلَّ بالمِسكِ، فهو مثلُ السَّديل[2]

وأشار مجنون ليلى إلى بعض أنواع الدهون التي كانت الحبيبة تضعها على شعرها، يقول:

وَأثلاَثِها العُليا كأن فِرُوعَها عناقيد تُغْذىَ بالدّهان وَبِالغْسلِ[3]

والغسل: الطيب:

ومن بين الأصباغ التي وضعتها المرأة على شعرها الحناء، فالعرجي أوضح بأن حبيبته قد وضعت الحناء على شعرها من أجل أن تغطي شيبها الأبيض، كما أنها كانت تتخذ الحلى والزينة لتبرز جمالها وتُظهره، يقول:

حَتَّى أوَيْتُ إلَى بِيْضٍ تَرَائِبُهَا مِنْ زَيِّهَا الحَلْيُ وَالحِنَّاءُ والكتَمُ[4]

---

(1) ديوان المتوكل الليثي، ص192، مجاج الدهان: أي طري لدن لمّاع كأنه يمج الدهن، وهو كناية عن الترف، المثاني: أطراف الزمام، يشبه بها الشعر، يريد خصل الشعر الطويلة كأنها زمام .

(2) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص459، الفرع: الشعر.

(3) ديوان مجنون ليلى: ص230.

(4) ديوان العرجي، ص314، الترائب: جمع تريبة وهي أعلى الصدر، حيث تتدلى القلادة، الحناء: ما يخضب به من نبات، الكتم: نبات يلّون به الشعر.

الفصل الثالث

البناء والعمران

1.3 مظاهر البناء والعمران

تعد مظاهر البناء والعمران من المعالم الحضارية التي تدل على تقدم الأمة ورقيها الحضاري، ففي البناء والعمران تبدو قيمة المدنية والحضارة، واتجاه الناس إلى التحضر والتطور، وقد أصاب أهل مكة والمدينة في العصر الأموي، تغيير حضاري كبير بما كان ينعم به الناس من الثراء الفاحش.

وقد عّد ابن "خلدون الحضارة غاية العمران، والبداوة أصل العمران وسابقة للحضارة، كما أن للحضارة "[1] مدلولاً عاماً، وهو أنها تعنّي التطور في مجالات عدة، يمكن وضعها في مجالين أساسيين: الأول وهو المجال المادي الملموس، والثاني هو المجال الروحي المحسوس، والعمارة أهم دعائم المجال المادي الملموس لتقدم الحضارة، كما أنها الميزان الصحيح لقياس التطور الحضاري لأي شعب من الشعوب، أو أُمة من الأمم[2].

وتوافق العمارة حضارة الإنسان في كل زمان ومكان، وبخطى ثابتة، حيث أنها تتميز بصفتين لا يمكن الفصل بينهما، الأولى، وهو الوجود المادي للحضارة، والثاني هو المعنى الحسي للبناء، وما يتمتّع به من صفات فنية تعطي إحساساً جمالياً للمبنى، وتنمي الشعور الإنساني والذوقي لدى الإنسان نفسه[3].

أما المعالم الحضارية المتوارثة من العصور السابقة فتتمثل في الخيام والبيوت التي عرفها العرب منذ أيام الجاهلية، ومن الطبيعي أن تستمر هذه المعالم لارتباطها

---

(1) مقدمة ابن خلدون، ص122.

(2) تاريخ العمارة، عبد المعطي الخضر، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ص3.

(3) نفسة، ص423.

بحياة الصحراء والبادية التي استمر أصحابها في العيش في الأنماط التقليدية التي تصلح للحياة خارج المدن.

وكان لإزدهار فن العمارة في البيئات العربية علاقة باتصال العرب بالأمم المجاورة، لذا تفاوت ازدهار هذا الفن في البيئات العربية المختلفة، وقد كانت مناطق الاستقرار هي أكثر الأماكن التي شهدت تطوراً واضحاً، في فني العمارة والبناء[1].

وقد أدى انتقال مركز الخلافة إلى بلاد الشام، واتخاذ مدينة دمشق عاصمة للدولة الأموية، إلى الاحتكاك بالفنون المحلية التي كانت سائدة في بلاد الشام، كما أدى اتساع رقعة الدولة الإسلامية واستتباب الأمن في كل الولايات الإسلامية إلى الاهتمام بالعمارة والفنون، وبدأ بناء المباني التي تضاهي المباني الساسانية والبيزنطية، لتليق بعظمة الدين الإسلامي، وهيبة الدولة العربية الإسلامية[2].

وتعد الدور والقصور من المظاهر الحضارية البارزة في العصر الأموي، حيث بنيت بالآجر والجص، واتخذت لها الأبواب من الساج، ولم يكن يبنيها العرب، وإنما كان يبنيها أجانب من الفرس والروم جلبوا لهذا الغرض[3].

وقد بالغ الأمويون ببناء الدور والقصور، حتى أصبحت تنافس دور دمشق وقصورها المبنية من قبل، وقد وقف معاوية متعجبا من دار عبد الله بن الحارث، ومن حُسْنِ بنائها، فخرج إليه عبد الله يقول: لا أشبع الله بطنك! أما تكفيك الخلافة، حتى تطلب هذه الدار"[4].

كما اهتم الأمويون بتجديد بعض المساجد التي شيدت في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، وازدهرت العمارة الإسلامية في العصر الأموي، واستطاع

---

(1) مظاهر الحضارة المادية في الشعر الجاهلي ص164.

(2) تاريخ العمارة، ص8، 9.

(3) الشعر والغناء في المدنية ومكة لعصر بني أمية، ص170.

(4) نفسه، ص171.

المعماري العربي أن يضع تصاميم ومخططات لأبنية رائعة، ما زالت تشهد بقاياها على مدى تقدم فن العمارة في العصر الأموي[1].

ومن أشهر وأهم المساجد التي شيدت في العصر الأموي، مسجد قبة الصخرة الذي يعد من أروع العمائر الأموية في بلاد الشام، كما أنه أقدم أثر إسلامي باق في تاريخ العمارة الإسلامية، وقد شرع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في عمارته عام (69هـ/688م)، وكان الفراغ منه في عام (72هـ/691-692م)[2]، والمسجد الأقصى في القدس، والذي شيّده الخليفة عبد الملك بن مروان ﷺ بجوار الصخرة المقدسة، والذي يعد بالنسبة إلى المسلمين أول القبلتين وثاني البيتين وثالث الحرمين[3]، وهناك الجامع الأموي بدمشق، الذي بناه الوليد بن عبد الملك، سنة (87هـ/706م)، وانتهى من بنائه سنة (96هـ/715م)[4].

1.1.3 الخيام

لقد قامت حياة العربي على الرحلة والانتقال، سعياً وراء الكلأ وبحثاً عن الماء، فالعربي يقيم حيث يرى الرزق، فيحل خيمته وينصب أثافيه، ويوقد النار، ويعيش حتى ينضب هذا المورد، فينتقل إلى غيره ويقيم فيه، وكانوا يستخدمون في رحيلهم الخيام حيث يقيمونها في الصحراء، أينما حلوا، وهو في أثناء سيره يقع على آثار من حل قبله، أو يمر بالأماكن التي نزل بها غيره فيرى الأطلال والديار والدمن والأوطان بين نازح يرتحل ومنيخ يحط رحله، فتتنازع الشاعر عواطف غريبة لهذه الصحراء والبادية والخيام.

---

(1) تاريخ العمارة، ص10.

(2) الأمويون وآثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وأفريقية، عبد الله كامل موسى عبده، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1423هـ، 2002، ص54.

(3) نفسه، ص52.

(4) نفسه، ص62.

ولم تخل قصيدة من الشعر الجاهلي في إشارة إلى الخيام منصوبة أو مرفوعة أرتحل أصحابها وبنيت أوتادها وآثارها مع الدمن وبقايا الحجارة، لذا لا نرى حاجة بعرض بعض أوصاف الجاهليين للخيام والأوتاد لانها شائعة كُثّير الورود.

أما في العصر الأموي فإن متابعة ذكر الخيام عند الشعراء الأمويين يدّل على استمرار هذا النمط والعيش في الحياة العربية،فهذا المجنون قد بدأ الحب في خيمات تهب عليها الرياح الشرقية في مكان مرمل محت آثاره الرياح المتضاربة، يقول:

أمِنْ أجْلِ خيماتٍ عَلَى مَدْرَجِ الصَّبَا　　　بجرعاءَ تَعْفُوْهَا الصَّبَا والجَنَائِبُ[(1)]

أما كُثَيِّرة فإنه يخاطب خليله، ويقول بأن عزة والتي كنى عنها بأم الحكيم، رحلت وقوضت خيامها بالعذيب، يقول:

خَليليّ إنْ أُمُّ الحَكيم تَحَمَّلَتْ　　　وأخْلَتْ لِخَيْمَاتِ العُذَيْبِ ظِلالَهَا[(2)]

كما أن الخيام والأخبية قد قوضت، فأصبحت لا ترى عموداً لم ينزع أو وتداً لم يقلع، كل ذلك إيذاناً بالرحيل وانقضاء الموسم، يقول كُثّير:

فَأصْبَحَ لا تَلْقَى خِباءً عَهِدْتَهُ　　　بِمَضْرِبِهِ أوْتَادُهُ لم تُنْزَعِ[(3)]

والحبيب تذكر عهده السابق بالحبيبة، فامتنع عليه النوم، فكأنما أصيب برمد، والذي أحزنه هو أعواد الخيمة التي تسكن بها الحبيبة وهذا ما أشار إليه العرجي، يقول:

ذَكَّرنِي قَرْناً، وخَيْماً، بِهِ　　　مَا زَلَّ مِنْ عَيْشِيَ، فَلَمْ أرْقُدِ
إلاَّ قَلِيْلاً لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ　　　شَيْئاً كَنَومِ الخَائِفِ الأرْمَدِ[(4)]

وأشار جميل أيضاً إلى تلك الخيام التي تقيم بها الحبيبة ومكان هذه الخيام منعرج اللوى، وحول هذه الخيام يسجع الحمام ويغرد، وفي المساء تسمع أصوات

---

(1) ديوان مجنون ليلى، ص16، جرعاء: رمال مستوية لا تنبت شيئاً، تعفوها: تمحوها، الصبا والجنائب: نوعان من الرياح.

(2) ديوان كُثّير عزة، ص221، أم الحكيم: لعلّها من كنى عزة التي أكثر منها الشاعر، تحملت: رحلت، العذيب: عين ماء بين ينبع والجار.

(3) نفسه، ص180، الخباء: الخيم على شكل بيت من وبر يقوم على عمودين أو ثلاثة.

(4) ديوان العرجي، ص،213الخيم: أعواد الخيمة، زل: مضى وذهب، الأرمد: الذي أصيبت عيناه بالرمد.

الرياح القوية التي تزعزع تلك الخيام كما تسمع صوت الرعد ويكون له صدى قوي، يقول جميل:

وَخَيْمَاتُكَ اللاَّتِيْ بِمُنعَرَجِ اللِّوَى لِقُمْرِيِّهَا بِالمَشْرِقَيْنِ سَجِيْعُ
تُزَعْزَعُ مِنْهَا الرِّيْحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ هَزِيْمٌ بُلاَّقِ الرِّيَاحِ رَجِيْعُ(1)

وعندما تبنى الخيام بعد استقرار أهلها ، وترفع بالأعمدة نرى في تلك الخيام الفتيات الجميلات الحور العيون، يقول الراعي:

وَفِيْ الخِيَامِ إِذَا أَلْقَتْ مَرَاسِيْهَا حُوْرُ العُيُون لأخوان الصَّبَاحِيْدُ(2)

وكان العربي عندما يقيم تلك الخيام، يقيمها بالقرب من المياه ومواطن الكلأ، يقول الراعي:

دَعَاهَا مِنْ الحَبْلَين حَبْلَيْ ضئيدةٍ خيامٌ بعكاشٍ لها ومُحَاضِرُ(3)

ومن المعروف أن الخيام رمز الغيث والمطر الخصب، فمتى بنيت تلك الخيام في ذلك المكان، فهذا يدل على أنه يسوده الخصب والغيث والكلأ، يقول جرير:

مَتَى كَانَ الخِيَامُ بِذِي طُلُوْعٍ سُقِيتِ الغَيْثَ أَيَّتُها الخِيامُ
تَنَكَّرَ مِنْ مَعَارِفِهَا وَمَالَتْ دَعَائِمُهَا، وَقَدْ بَلِي، الثُّمَامُ(4)

فهذا دعاء لأطلال الحبيبة بالسقيا.

ويزداد شوق المجنون إلى أرض الحجاز، لكن خيام الحبيبة كانت بنجد بعيدة عنه، فهو ينظر إلى نجد لعله يرى الحبيبة ولكن لا ينفعه النظر، يقول:

أَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الحِجَازِ وَحَاجَتِي خِيَامٌ بِنَجْدٍ دُونَهَا الطَّرْفُ يَقْصُرُ

---

(1) ديوان جميل بثينة، ص103.

منعرج اللوى: اسم موضع، القمري: نوع من الحمام، هزيم: صوت الرعد كأنه يتكسر، السلاف: ما سال وتحلب قبل العصر.

(2) ديوان الراعي النميري، ص83.

(3) نفسه، ص140.

ضئيدة: اسم موضع، عكاش: ماء عليه نخل وقصور لبني نمير.

(4) شرح ديوان جرير، ص613، الثمام: الواحدة ثمامة: نبت ضعيف لا يطول.

وَمَا نَظَرِي مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ بِنَافِعِي　　أَجَلْ، لا، وَلَكِنِّي عَلَى ذَاكَ أَنْظُرُ[1]

ولما كانت الخيام دليلاً على وجود الزرع والعشب والماء، ولأن العرب بدو رحل يسعون وراء الكلأ والماء، فالبدوي يبني خيمته حيث يرى العشب والماء، يقول جرير:

إِذَا رَفَعُوا طَيء الخِبَاء رَأَيْتَه　　كَضَارِبِ، طَيْرٍ فِي الحِبَالَةِ يَلْمَعُ
تَرَى القَوْمَ فِيْهِ مُمْسِكِينَ بِجَانِبٍ　　وللرِّيحِ مِنْهُ جَانِبٌ يَتَزَعْزَعُ[2]

أما كُثَيِّر فمن شدة تعلقه بحبيبته وحبه لها، جعل خيامها في قلبه، كما أن بفؤاده حباً ماثلاً يرعى بأنغامه حشاشة روحه في أوشاج وعرى الصدر، يقول:

وَلَوْ تُنْقَبُ الأَضْلاعُ أُلْفِيَ تَحْتَهَا　　لِسُعْدَى بِأَوساطِ الفُؤَادِ مَضَارِبُ
بِهَا نَعَمٌ من ماثِلِ الحبِّ واضحٌ　　بمجتَمَعِ الأَشْرَاجِ ناءٍ وقَارِبُ[3]

2.1.3 الهوادج

مع الارتحال تظهر صورة الهوادج التي تحملها الإبل، وقد تعددت الكلمات التي عبر بها الشعراء عن ذلك، فاستعملوا ألفاظ الحمول حيناً والظعن حيناً والهودج حيناً ثالثاً، والمراكب والرجائز والغمائم والحدوج أحياناً أخرى، وقد أطال بعضهم الوقوف ووصفوها ونوعوا الوصف، قدر ما كان التنوع ممكناً[4].

فعندما يقف الشعراء على أطلال المحبوبة الدارسة بعد رحليها، يتذكر الظعائن فيصفها ويشير إلى الأسباب التي أدت إلى ارتحال قبيلة المحبوبة بحثاً عن الماء والمرعى الخصيب[5]، فيقف الشاعر وحيداً، أو في بعض صحبه يرقب هذه الظعائن

---

(1) ديوان مجنون ليلى، ص84.

(2) شرح ديوان جرير، ص445، الحبالة: الشرك.

(3) ديوان كثير عزة، ص46، المضارب: الخيام.

(4) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، ص94.

(5) الإبل في الشعر الجاهلي، أنور عليان أبو سويلم، ج1، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1403هـ، 1983م، ص31.

وقد عنيت شروح القدماء بتبين أوجه الشبه بين الظعن المزينة بالبلج والعهون والّطنافس وأنواع الوشي الملّون، وأشجار النخيل عندما تكون محملة بالبلح الأحمر الزاهي، والسَّعف الأخضر، والطلع الأصفر[1]، كما أن هناك علاقة مشابهة بين الظعائن والسفن في الحركة والانسياب، إضافة لما في الدقل والصاري من شبه بالهوادج، وما في كثبان الرمال المتموجة من شبه بأمواج البحر[2]، والذين تحدثوا عن مشهد هذا الهودج لم يخرجوا في تشبيههم له عن الشجر العظيم الضخم كالدوم، كما يبدو أن اللون الأحمر هو الذي كان يغلب على هذه الهوادج[3].

أما في العصر الأموي فقد استمر عدد من الشعراء في الحديث عن الهوادج والحدوج والظعائن التي كانت تنقل النساء أثناء الارتحال، فالهودج يعد من الأشياء المهمة في حياة البدوي، وهذا الهودج كان مخصصاً لحمل النساء خوفاً عليهم من حر الشمس أو شدة البرد.

ومن الشعراء الذين ورد ذكر الهودج في أشعارهم مجنون ليلى، فقد أوضح بأن النياق الحور قد حملت النساء، وجلّلت الهوادج بالستائر الموشاة حتى القوائم، وعندما أستوت تلك النساء في الحدوج فاحت رائحة العبير والمسك الذي يملأ الأنوف وبعد ذلك حثوا النياق على السير، وكان الرحيل صيفاً وفي يوم صافي الأديم ممتع، يقول:

وحتى حَمَلْنَ الحورَ مِنْ كُلِّ جانبٍ   وخَاضَتْ سُدُولَ الرَّقم مِنْهَا الأَكَارِعُ
فلما اسْتَوَتْ تَحْتَ الخُدُوْرِ وقَدْ جَرَى   عَبِيْرٌ وَمِسْكٌ بِالعَرَانِيْنِ سَاطِعُ
أَشَرْنَ بِأن حُثُّوا المَطِيَّ وقَدْ بَدَا   من الصَّيفِ يَوْمَ طَيِّبُ الظلِّ ماتِعُ[4]

---

(1) مظاهر الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي، أنور عليان أبو سويلم، دار عمار، 1410هـ/1991م، ص66.

(2) الإبل في الشعر الجاهلي، ص43.

(3) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، ص109-110.

(4) ديوان مجنون ليلى: ص124.

الحور: من في أعينهن حور، وهو شدة البياض في شدة السواد.

السدول: ما يجعل به الهودج من الثياب.

الأكارع: القوائم، العرانين: جمع عرنين وهو الأنف.

وعندما ترحل الحبيبة عن الديار، فإنها تجعل الحبيب يعاني زفرات الحب، فهذا كثير قد استبد به الحزن يوم خرجت عزة على ظهر هودجها تجد بالرحيل فإن الألم قد اعتصر قلبه، وقد خرج الركب بعزة في ضحوة النهار يعبر النقب ويسوقه الحادون ومن خلفهم الخليج الذي كان منزلها بقربه،واجتازت الثنايا في الجبل وقد علت هوادجها كالبروج:

أَلَمْ يَحْزُنك يَوْمَ غَدَتْ حُدُوجُ لِعَزَّةَ إِذْ أَجدَّ بِها الخُرُوجُ
بِضَاحي النَّقْبِ حِيْنَ خَرجْنَ مِنْهُ وخَلْفَ مُتُوْنِ سَاقَتِهَا الخَلِيْجُ
رأيتُ جِمَالَها تعلو الثَنَايا كأنَّ ذُرى هوادِجها البُروجُ[1]

وعندما رأى الحبيب الهوادج وهي ترتحل وفيها الحبيبة، تضاعف الحزن الذي في قلبه وسالت عيناه بالدموع؛ لأنه لايصبر على الفراق، يقول:

رأيت حُدوجَها فظللتُ صبًّا تهيّجني مع الحَزَنِ الحُدوجُ
إذا بَصُرَتْ بها العينان لُجَّتْ بدَمْعِهما مع النَّظَرِ اللَّجوجُ[2]

وهناك من الشعراء من شبه الحبيبة أثناء رحيلها في الهودج بالغزال، يقول عُبيد الله بن قيس الرقيات:

إنَّ في الهَوْدَجِ المحَفَّفِ بالدّيـــ باجِ ريماً مَعْ الجواري ربَيبَا[3]

كما تحدث الأخطل أيضاً عن الهوادج التي تحمل النساء الجميلات، وقد أزدانت بأجمل الزينة، يقول:

وما خفتُ بين الحَيِّ، حتّى رأَيتُهُم لَهُم، بأعالي الجَهْلَتَين حُمُولُ
فبانوا بأروى يوم ذاك، كأنها من الأُدمِ، غنَّاءُ اليُمام، خَذُولُ[4]

---

(1) ديوان كثير عزة، ص91، غدت: رحلت في الغداة، الحدوج: الهوادج على الجمال، أجدبها: ساقها بجهد، الخروج: الرحيل والانطلاق، الضاحي: المعرض للشمس، النقب: الطريق الجبلي، الساقة: مؤخرة الركب أو الجيش، الخليج: من شعب الوادي المتفرعة.

(2) نفسه، ص92، الصب: الوله المشتاق، لجت: شكت من حالها بالحاح، اللجوج: صفة ملازمة للنفس التي من طبعها اللجاجة.

(3) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص107.

(4) شعر الأخطل، ج1، ص43.

والشوق والحنين قد ازداد لدى الحبيب، عندما رأى الحبيبة تستقل في تلك الحدوج في الصباح، وقد رحلت وتركت الحبيب يعاني زفرات الألم والوداع، يقول عدي بن الرقاع:

يا شوقُ ما بك يومَ بانَ حُدوجُهُمْ   من ذي المُوَيْقَعِ غُدْوَةً أجدبها[1]

فشعراء العصر الأموي أكثروا من ذكر الهودج التي تحمل النساء الجميلات حينما تغزلوا بحبيبات يرتحل أهلهّن، فالمتوكل الليثي رسم صورة جميلة للهودج الذي يحمل الحبيبة، يقول:

وفي الأظعان، آنسة لعُوبٌ   ترى قتلي بغيرِ دَمٍ حَلالا

كما ذهب النابغة الشيباني إلى ما ذهب إليه غيره من شعراء الغزل في العصر الأموي في صفة الهودج، فقد وصف الفتيات المرتحلات بالهوادج بالجمال والترف وهن مثل الدمى، يقول:

وفي الهوادج أبكارُ مُنَاعَمَةٌ   مثلَ الدُمى هِجْنَ شوقاً في المحاريب[2]

أما عمر بن أبي ربيعة فقد أبدع في استخدام المظاهر الحضارية في شعره فعمر حضري، والمرأة التي يذكرها يصف هودجها لأنها جاءت في رحلة إلى الحج، يقول:

أوْمَت بعينيها مِنْ الهَوْدَجِ:   لولاكَ في هذا العام لَمْ أحْجُجِ

أنت إلى مكّةَ أخرَجْتَنِي،   ولَوْ تَرَكَتَ الحجَّ، لم أخْرُجِ[3]

ويطلب العرجي من صاحبة الهودج أن تقترب منه وتميل عليه؛ لأن في ذلك جلب للسعادة والسرور له، يقول:

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الهَوْدَجِ   إنَّكِ إنْ لا تَفْعَلي تَحْرُجِي[4]

---

(1) ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص97.

(2) ديوان النابغة الشيباني، ص362.

(3) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص130.

(4) ديوان العرجي، ص189، الهودج: محل النساء على ظهر البعير، عرج: مال.

ومجنون ليلى يسأل هؤلاء الحجاج الذاهبين إلى بيت الله الحرام للحج، عن حبيبته، في أي هودج من هذه الهوادج، أو خدر من تلك الخدور، تكون الحبيبة، يقول:

أَحُجَّاجَ بَيْتَ الله في أيِّ هَوْدَجٍ ... وفي أيِّ خِدْرٍ مِنْ خدورِكُمُ قَلْبي[1]

ومن المعالم الحضارية الأخرى التي شاعت وظهرت في شعر الأخطل، رسم لوحة جديدة وفريدة للهودج، يبرز من خلالها صورة مفارقتهن له وعودتهن إلى منازلهن في سفينة عظيمة، كانت تمخر عباب البحر وكأنّ ملاّحاً قوياً حذراً فوقها يوجهها، وهذه الرياح العاصفة تطير سرواله الصغير الذي يستر عورته، وما زالت السفينة ماضية في سيرها والمياه ترتفع أمواجها، وتلطم جوانبها حتى وصلت إلى الثغر[2]، فهذه السفينة ليست سفينة حقاً، ولكن الشاعر لجأ إلى التشبيه، يقول الأخطل:

كأنَّ الرَّيْطَ فَوْقَ ظباءِ فَلْجٍ ... غداة لَبِسْنَ للبَيْنِ الثِّيابا

فَفَارَقْنَ الخليطَ على سفينٍ ... يَشُقُّ بِهِنَّ أَمْوَاجاً صِعَابا

ترى الملاّح مُحْتَجِزاً بليف ... يؤم بهنَّ آجاماً وغابا[3]

كما أكثر شعراء العصر الأموي من الإشارة إلى الظعائن التي كانت تحمل النساء الجميلات وابتداع الصور المختلفة في تشبيهها.

فالأخطل شبّه الظعائن الراحلات اللواتي يتراءين من بعيد بنخيل مثقل بأثماره، ذي لون أحمر ضارب إلى السواد، كما أن هذا الثمر مروي يجري إليه الماء من نبع غزير، وتهب عليه الريح، فتحنيه وتنيخه لطوله وارتفاعه، يقول:

فما خِلْتُهَا إلاّ دوالحِ أُوقِرَتْ ... وتُمَّتْ بِحَمْلٍ نَخْلُهَا وَفَيْلُهَا

تَسَلْسَلُ فيها جَدْوَلُ مِنْ مُحَلَّمٍ ... إذا زَعْزَعَتْها الريحُ كادت تُمِيلُهَا[4]

---

(1) ديوان مجنون ليلى، ص40.

(2) الغزل في شعر الأخطل (مقوماته، مضامينه، خصائصه)، ص120.

(3) شعر الأخطل، ج1، ص569.

(4) شعر الأخطل، ص357، الدوالح: جمع دلحة المثقلة بحملها، أوقرت: اشتد حملها، كمت: أصبح كمياً، لونه بين الحمرة والسواد، الفيل: غصن يقطع من النخلة ويغرس، تسلسل: جرى وتغلغل، محلم: نهراً ومنبع في البحرين.

وشبه الظعائن أيضاً بالنخيل الملتف بعضه على بعض، يقول:

وكأنَّ ظَعْنَ الحيِّ خائِشُ قَرْيَةٍ   وَإِني الجناية مُونِعُ الأثمارِ[1]

وكُثَيِّر صاحب عزة لم يفته الاهتمام بتلك المظاهر الحضارية، فقد شبه الفتيات في الظعائن هيفاوات القدود، مثل القضيب اللدن الغصن أو كالظباء المتشحة بالوشائح المزينة، أو الطعام الحلو اللذيذ النادر، يقول:

ظعائِنُ كالسَّلوى التي لا يَحُزْنَها   أو المَنّ، إذ فاحتْ بهنَّ الفوائحُ

كأن قنا المُرّانِ تحت خُدورِها   ظباء المَلا نِيطَت عَلَيْها الوشائحُ[2]

أما الفرزدق فإنه يخاطب خليله في النظر إلى تلك الظعائن التي تشبه بنخيل عليه ثمر، يقول:

تَبَيَّنْ خَلِيلي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعائِنٍ   لِمَيَّةَ أَمْثَال النَّخِيل المَخَاوِفِ[3]

ولمَّا كانت هذه الظعائن مخصصة للفتيات الجميلات، لذلك فإن النساء عندما يركبن في تلك الظعائن، يتخذن الزينة والطيب وارتداء الملابس الجميلة يقول الطرماح:

كَفَاخِرَةٍ لِزينتِها بِحِدْجٍ   ضعيفِ الأسرِ، مُنْقَطِعِ السِّنَافِ[4]

كما شبّه الطرماح عيون هؤلاء النساء بعيون البقر الوحشي، وكن يضعن على أناملهن الوشم ويتزين بأجمل الزينة، يقول الطرماح:

ورنون مِنْ خَلَلِ الخدو   ر بأعيُنِ البقر الخَوَاذِلْ

من كُلِّ ذي ذنبٍ يُرَى   بحدوس وشمُ الأناملَ[5]

---

(1) شعر الأخطل، ص118.

(2) ديوان كُثير عزة، ص100، السلوى: طعام لذيذ نادر المثال ويقترن ذكره بالمن، لا يحزنها: لا يملكنها ويملكن طيبها ولذتها ورائحتها الفواحة الذكية، القنا: جمع قناة، وهي القضيب اللدن الغض، الحران: نبات تؤخذ منه القنا للرماح.

(3) شرح ديوان الفرزدق، إيليا الحاوي ،ج2، منشورات دار الكتاب اللبناني ، ط1، 1983، ص13، المخاوف: النخيل التي عليها ثمرها.

(4) ديوان الطرماح، ص330.

(5) نفسه، ص364.

3.1.3 البيوت والدور

لقد خلّف الشعراء في العصر الأموي كثيراً من أوصاف المنازل والدور التي كانت ظاهرة في ذلك العصر، وهناك قصائد مشهورة خص الشعراء بها صرحاً أو منشأة ما، وأجادوا في وصفها، لا سيما أن الخلفاء والأمراء الأمويين كانوا أكثر حرية من غيرهم، لذلك كثر في أشعارهم وصف تلك البيوت والدور التي كانت تقيم بها الحبيبة، ووصف الدور والمنازل بعد رحيلها[1].

وتنوعت إشارات الشعراء إلى المنازل، فمنهم من وقف عندها وقفة الشاعر في العصر الجاهلي، ذاكراً النؤي وبقايا أحجار الموقد مما يدل على أنهم يقصدون بالمنازل الخيام، ومنهم من أشار إلى البناء المشيد، ومن الشعراء الذين ذكروا الصورة القديمة العرجي، يقول:

وَمَنْزِلُ الحَيِّ به قَدْ عَفَا   إلا مَخَطَّ النُّوْيِ والمَوْقِدِ[2]

فالحبيب يتحسر على فراق الحبيبة عند رحيلها، ولم يبق من آثار منزلها إلا بقايا النؤى والموقد.

ومن شعراء العصر الأموي من ذكر آثار الديار وبصورة تقليدية ومنهم الأحوص، حيث أوضح أن الحبيبة كانت تقيم في منطقة العرج، ولها آثار ديار في منىً، ومن شدة حنينه إليها كان يسأل عنها كل ركب يمر، لعلها تكون فيه؛ لأن آخر علمه بها كان في مكة أثناء موسم الحج، يقول:

زُبَيْرِيَّةٌ بالعَرْجِ منها مَنَازِلُ   وبالْخَيفِ مِنْ أدْنَى مَنَازِلِهَا رسْمُ
أسائل عَنْهَا كُلَّ خَرْدٍ لقيتُهُ   ومَالي بها مِنْ بَعْدِ مَكَّتِنَا عِلْمُ[3]

---

(1) الحائر بحث في القصور الأموية في البادية، فواز أحمد طوقان، عمان، 1979م، ص39.

(2) ديوان العرجي، ص213، عفا: زال أثره ومحي، المحط: ما يشبه الخط،ا لنؤى: الحفرة تجعل حول الخيمة تمنع تسرب المياه إلى داخلها.

(3) شعر الأحوص الأنصاري، تحقيق عادل جمال سليمان، ص234، العرج: قرية جامعة في واد بنواحي الطائف، وإليها ينسب العرجي.

وهنا نلمح أيضاً صورة تقليدية وقف عندها الشاعر، فديار الحبيبة ومنازلها قد هيجت أشواقه وأحزانه، تلك الديار التي تعلق قلبه بها، كما أنه دائم التذكر لها ولا ينساها، يقول عدي بن الرقاع:

ما هَاجَ شَوْقَكَ مِنْ مَغانِي دِمْنَةٍ   ومنازِلٍ شَغَفَ الفُؤادِ بِلاَها
دَارٌ لِصَفْراءَ التي لا تَنْتَهي   عَنْ ذِكْرِهَا أبداً ولا تنساها[1]

كما أنه يتساءل عن ديار الحبيبة المقامة بالصحراء، يقول:

أتَعْرِفُ بالصَّحْراءِ شَرْقيَّ شابكٍ   مَنَازِلَ غِزْلانٍ لَهَا الأُنْسُ أطْيَبَا[2]

ويطلب الوليد بن يزيد من صاحبيه أن يقفا على آثار الديار البالية ويسألا تلك الديار بعدما أقفرت، يقول:

على الدُورِ التي بَلِيتْ سَفَاهَا   قِفَا يا صَاحِبَيَّ فَسَائِلاَهَا[3]

فقد أطلق لفظ الدور على آثار الديار الدارسة والتي تعني الخيام، وعندما زار عروة بن أذينة منازل الحبيبة بعدما أقفرت من أهلها قد أصابه الخوف والدهشة بعد الأنس الذي كان يحل بوجود سكانها، يقول:

ولَقَدْ غَشَيَتُ لنا رِسُومَ منازلٍ   بُدِّلْنَ بَعْدَ تأنُسٍ إيحاشا[4]

وذهبت الحبيبة عن الديار وتركت الحبيب يعاني الزفرات، لكن الذي أقام مكان الحبيبة الشيب الذي علا الرأس، وهنا نلاحظ صورة جميلة استحدثها الشاعر، يقول الحارث بن خالد المخزومي:

ولىَّ بلا ذَمٍّ وغادرَ بَعْدَهُ   شَيْباً أقامَ مكانَهُ في المنزلِ[5]

---

(1) ديوان عدي بن الرقاع العاملي، هاج: ثار، قيل هاج الشربين القوم، وقيل هاج الإبل هيجاً، مغاني: واحدها مغنى المنازل التي كان بها أهلوها، دمنة: دمنة الدار والدمنة: آثار الناس، شغف الفؤاد، الشغاف: غلاف القلب أو غشاؤه.ص96.

(2) نفسة، ص62، شابك: موضع من منازل قضاعة بالشام.

(3) شعر الوليد بن يزيد، ص130.

(4) شعر عروة بن أذينة، ص125.

(5) شعر الحارث بن خالد المخزومي، ، ص90.

وهذه منازل بثينة قد خلت من أهلها، وقد أصبح المنزل قفراً خالياً من السكان، بعد أن محت آثاره رياح الشمال، وبعد أن كانت الحبيبة تشتو به وتصيف، يقول جميل:

أمِنْ مَنْزِلٍ قَفْرٍ تَعَفَّتْ رُسُومَهُ   شَمَالٌ تُقَادِيهِ وَنَكْبَاءَ حَرْجَفُ

فأصبح قفراً بَعْدَمَا كان حِقْبَةً   وَجُمْلُ المُنَى تشتَو بِهِ وتُصَيِّفُ[(1)]

وقد مثّل جرير بقايا الطلول ببقايا الرسوم، حيث أصبحت المنازل كورق الكتاب بعد خلوها من أهلها، يقول:

ألا حَيِّ المنازلَ بالجَنابِ،   فقد ذكّرن عَهْدَكَ بالشبابِ

ألا تَّنفكُّ تَذْكُرُ أهْلَ دارٍ،   كأنَّ رسومها وَرَقُ الكِتابِ[(2)]

كما يبن جرير بأن المنازل أصبحت مهجورة لا يسكنها أحد، وقد عبرت عليه حقبات طويلة من الزمن، فغيرت معالمها، كما ويتذكر عهد إقامته في تلك الربوع التي كان يعمها الخصب والربيع، وكان يقبل ويدبر ويرتع في تلك المنازل، يقول:

حَيِّ المَنَازِلَ بالأجْرَاعِ، غَيَّرَهَا   مَرُّ السّنين وايَادٌ وآيادُ

إذ النَّقِيعَةُ مُخْضَرٌّ مَذَانِبُها   وَإِذْ لنا بِشِباكِ البَطْنِ رُوّاد[(3)]

وكل هذه الصور والإشارات تقليدية ورد معظمها في البنية التقليدية للقصيدة العربية في العصر الجاهلي والعصور التي تلته بما فيها العصر الأموي.

وهناك من الشعراء من ذكروا الدور بما قد يستدل به على أنها مبنية، فأشار مسكين الدرامي إلى تلك البيوت التي تقيم بها الحبيبة فهو لا يذهب إليها إلا إذا كانت له حاجة في الذهاب إليها.

وَلَستُ بولاّج البيوت لفاقةٍ   ولكن إذا استغنيت عنها ولجتّها[(4)]

---

(1) شرح ديوان جميل بثينة، ص117، القفر: المكان الذي لا ماء فيه ولا نبات ولا ناس.

(2) شرح ديوان جرير، ص44، الجناب: ماء لفزارة.

(3) نفسه، ص157.

(4) ديوان مسكين الدرامي، تحقيق عبد الله الجبوري، وخليل إبراهيم العطية، مطبعة دار البصري، بغداد، 1379 هـ/1970م، ص26.

أما حبيبة كُثَّير فإنها في مشيتها وسط البيوت تتبختر وتتمايل فقد نشأت في رعاية الدلال والترف، يقول:

إذا ما مَشَتْ بين البيوتِ تخَزَّلَتْ ومَالَتْ كما مالَ النّزيفُ المُرَنَّحُ(1)

وأشار الفرزدق إلى أن المنازل قد هيجت شوقه بطيف الحبيبة ولكن السجن حال بينه وبينها، مما جعله ينساها، يقول:

أهاجَ لكَ الشّوْقَ القَديمَ خَيالُهُ مَنَازِلُ بَيْنَ الْمُنْتَضى وُمنِيم

وقَدْ حالَ دُونِي السّجْنُ حتى نسيتُهَا وأذْهَلَني عَنْ ذِكْرِ كُلِّ حَمِيمِ(2)

وأحياناً قد يلتبس الأمر، فلا ندري ما إذا كانت هذه الأماكن التي تقيم فيها الحبيبة منازل مبنية أم خياماً.

فهذا وضاح اليمن في تذكر دائم للحبيبة ومنازلها، فهو يقيم بالشام لكن قلبه معلّق بها، يقول:

أبتْ بالشّام نَفْسِي أنْ تَطِيبَا تَذكَّرتُ المَنَازِلَ والحبَيبَا(3)

تذكَّرتُ المَنَازِلَ مِنْ شَعُوبِ وَحَيّاً أصْبَحُوا قُطِعُوا شُعُوبَا

فقد قيل: ان شعوباً موضع قريب من صفاء وكان به قصرٌ معروف بالارتفاع وحواليه بساتين .

أما يزيد بن مفرغ الحميري، فإنه يشير إلى قرب داره من دار الحبيبة، وداره لها قباب وخيام وقد جمع بينهما، يقول:

مَنْزِلُ مِنّا وَمِنْ آل لَيْلى إذْ خيام [دارُهُمْ] وقِبابُ

دارُكُمْ دارُ لنا إن سَلِمْنا وانقَضَى الغَزْوُ وحان الإيابُ(4)

---

(1) شرح ديوان كثير عزة، تحقيق رحاب عكاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص60.

انخزل في مشيته: استرخى كأن الشوك شاك قدمه.

(2) شرح ديوان الفرزدق، ج2، ص520.

(3) ديوان وضّاح اليمن، ص31، وأنظر الاغاني، ج6، ص153.

(4) ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، ص61.

وصاحبات عمر كن يبرزن مشرفات من خوخات الأبواب في دورهن يتطلعن إلى الخارج، وقد وصف عمر إحدى صواحبه بأنها شريفة ليست من اللواتي يبرزن في الخوخات والسدد لمشاهدة الرجال، يقول:

بَيْضَاءَ آنسةٍ للخِدْرِ آلفةٍ ولَمْ تَكُن تألفُ الخَوخاتِ والسُّدَدا(1)

والخوخات جمع خوخة، وهي الكوة التي تسمح بمرور الهواء والضوء إلى المنزل.

والحارث بن خالد المخزومي يشير إلى خلو تلك الديار من أهلها، لكنه يعرفها حتى لو تغيرت معالمها، يقول:

إني وما نحروا غداة منىً عند الجمار تؤدها العقْلُ
لَوْ بَدَّلَتْ أعلَى منازلها سُفلاً وأصبح سُفْلُها يَعْلُو(2)

وذو الرمة يسميها منزلاً، ويلقى التحية والسلام على ديار ميٍّ ويتساءل هل ترجع الأيام الماضية، التي نعم فيها بقرب الحبيبة، يقول:

أمنزلتيْ ميًّ سلامٌ عليكما هَلَ الأزمُنُ اللائي مَضَينَ رَوَاجِعُ(3)

كما أن جميل صاحب بثينة يسميها دوراً لكنها بيت، ويطلب بأن تنزل الرحمة على ديار الحبيبة ما حل الصيف والربيع، بعدما بنيت وأصبحت خرابا، يقول:

سَقَى مَنْزِلَيْنَا يا بُثَيْنَ بحَاجِرٍ عَلَى الهَجْرِ مِنّا صَيّفٌ وَرَبيعُ
ودُورِك يا لَيْلَى وإن كُنَّ بَعْدَنا بَلِينَ بِلىً لَمْ تَبْلَهُنّ رُبُوعُ(4)

وهنا يوحي الأحوص هذا المحب للحبيبة بأن تلك المنازل بناء وبيوت متلاصقة، ويقترب حول بيت الحبيبة ولا يزوره، لكنه يزور بيوت الجيران القريبين من بيتها، يقول:

---

(1) ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح يوسف فرحات، ص162، للخدر آنسة إشارة إلى نبل مقامها.

(2) شعر الحارث بن خالد المخزومي، ص67

(3) ديوان ذي الرمة، مطبع بيبللي.ص120

(4) شرح ديوان جميل بثينة، ص103، حاجر: اسم موضع. سقى منزلينا: لتنزل عليهما الرحمة.

أدُورُ ولَوْلا أنْ أرَى أمَّ جَعْفرِ   بأبياتُكمْ ما دُرْتُ حيثُ أدُورُ
أزور بُيُوتاً لاصِقاتٍ بِبَيْتِهَا   ونَفْسي إلى البيت الذي لا أزُورُ[1]

4.1.3 القصور

تكّرر ذكر القصور في الشعر الأموي، وصور شعراء ذلك العصر معظم ما عرف منها في البيئات العربية، وتظهر أهمية تلك القصور في طريقة بنائها وما استخدم بها من مواد، وتعد تلك القصور من المظاهر الحضارية التي ظهرت في العصر الأموي، وذكرت في شعر شعراء الغزل في ذلك العصر.

وقد اشتهر كثير من خلفاء بني أمية بحبهم للبناء، وإظهار العظمة العربية فيه، فبنوا قصورهم في بادية الشام على مقربة من نهر الفرات، بعيداً عن حياة المدينة، وليلتقوا مع زعماء القبائل العربية، وينطلقوا في الصحراء متمتعين بلذة العيش، ويتلقوا اللغة العربية من منابعها، وسط القبائل العربية في البادية.

وقد كانت تصاميم تلك القصور متلائمة مع الغاية التي أنشئت من أجلها، وأسرف الخلفاء الأمويون في زخرفة المباني وضخامتها، وساعدهم على ذلك المستوى الإقتصادي، الذي وصلت إليه الدولة الإسلامية[2].

ومن أشهر القصور الأموية، التي بناها الأمويون، وكانت أماكن سكنى لهم، والتي أخذ اسم بعضها من المنطقة التي هو فيها، خان المنية ويرجع هذا القصر المشتى إلى خلافة الوليد بن عبد الملك، وهو قصر صغير نسبياً[3]، ويقع هذا القصر (خربة المنية) بالقرب من الشاطئ الشمالي الشرقي لبحيرة طبرية، وأول من كشف عنه (مادر) الذي بدأ الحفر فيه عام (1351هـ/1932م)[4]، وهناك أيضاً قصرا الحائر الشرقي والغربي، ويقع قصر الحائر الشرقي على بعد ستين ميلاً تقريباً إلى الشمال الشرقي من

---

(1) شعر الأحوص الأنصاري، ص160.

(2) تاريخ العمارة، ص25-26.

(3) الحائر بحث في القصور الأموية في البادية، ص65.

(4) الأمويون وآثارهم المعمارية، ص80.

تدمر، وحوالي أربعين ميلاً إلى الجنوب من الرصافة[1]، ويتألف من بنائين مربعين تقريباً، كبير وصغير[2]، أما قصر الحائر الغربي فإنه يقع على بعد أربعين ميلاً إلى الجنوب الغربي من تدمر[3]، وقد شرع في بنائه عام (105هـ)، وتم بناء معظمه عام (109هـ) تقريباً، ويتألف من قصر كبير مؤلف من طابقين، وله خان قريب منه[4]، وأجمل بيوت هذا القصر البناء الشرقي الذي يعتقد أن الخليفة كان يسكنه عند حلوله في قصره[5]، وقصر المشتى الذي يقع على بعد عشرين ميلاً من جنوبي عمان[6]، وهو بناء مربع الشكل يبلغ طوله (144 متر)، شرع في بناء[7] هذا القصر سنة (613هـ)، ثم توقف البناء ويعود بناء هذا القصر إلى زمن الوليد بن يزيد الذي أفرط في زخرفة هذا القصر وزركشته[8] وأيضاً قُصير عمرة، الذي يقع على بعد نحو خمسين ميلاً شرقي عمَّان[9]، ويتميز باشتماله على نقوش في جدرانه وسقوفه، وهناك القصور التي ذكرت في أشعار الشعراء الأمويين كقصر الموقر الذي يقع في البلقاء أي في أراضي الجنوب الشرقي من الأردن على بعد (35 كم) غربي الحرانة على الدرب المؤدية إلى عمان[10]، وقد بني على قمة جبل الموقر[11]، وقصر القسطل الذي جاء ذكره في شعر

---

(1) السابق، ص113.

(2) الحائر في القصور الأموية في البادية، ص181.

(3) الأمويون وآثارهم المعمارية، ص114.

(4) الحائر بحث في القصور الأموية في البادية، ص153.

(5) القصور الأموية، محمود العابدي، مطابع الشركة الصناعية، عمان، ص112.

(6) الأمويون وآثارهم المعمارية، ص129.

(7) القصور الأموية، ص30-34.

(8) الحائر بحث في القصور الأموية في البادية، ص71.

(9) الأمويون وآثارهم المعمارية، ص99.

(10) نفسة، ص111.

(11) الحائر بحث في القصور الأموية في البادية، ص72.

كُثّير عزة، ويقع على بعد (8 كم) إلى الغرب من قصر المشتى[1]، وينسب إلى الخليفة هشام بن عبد الملك[2]، بالإضافة إلى الكثير من القصور الأموية الأخرى.

وقد جاء في المستطرف وصف لقصر سليمان بن عبد الملك على لسان أبي سويد، إذ قال: حدثني أبو زيد الأسدي، قال: "دخلت على الخليفة وهو جالس في إيوان مبلّط بالرخام الأحمر، مفروش بالديباج الأخضر في وسط بستان ملتف، قد أثمر وأينع وعلى رأسه، وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها"[3].

ولم يخل شعر شعراء الغزل في العصر الأموي، من وصف لتلك القصور بكونها مظهراً من المظاهر الاجتماعية والحضارية التي كانت بارزة في ذلك العصر، لذلك أكثر الشعراء من ذكر مواضع حوران والجولان وغوطة دمشق في أشعارهم، وقد كانت هذه الأماكن منتجعات أو إقطاعات زراعية للأمويين وأعوانهم، وكانت بعض تلك القصور متخذة مشتى لهم[4]، ووصف بعضهم قبابها، والشاعر هنا يحدد مكان انتشار القصور الأموية ما بين أجنادين والرملة وحلب، وقد مدح كُثّير عزة عبد الملك بن مروان قائلاً:

أروحُ وأغدو من هواكِ وأَسْتَري ... وفي النّفْسِ ممّا قد عَلِمْتِ عَلاقِمُ

إلى أهْلِ أجْنادينَ من أرض مَنْبجٍ ... على الهَوْلِ إذْ ضَفْرُ القُوى متلاحِمُ

وما لَسْتُ من نصحي أخاكَ بِمُنْكَرٍ ... بِبُطْنانَ إذ أَهْلُ الغِيابِ عَماعِمُ[5]

---

(1) السابق، ص76.

(2) الأمويون وآثارهم المعمارية، ص124.

(3) المستطرف في كل فن مستظرف، الأبيشهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، ج1، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1414هـ/1994م، ص151.

(4) الحائر بحث في القصور الأموية في البادية، ص51.

(5) ديوان كُثّير عزة، ص315، وانظر الحائر، ص51.

استرى: من السرى وهو السير ليلاً.

منبج: قرية في بلاد الشام شمال شرقي حلب، الضفر: الحبل المجدول.

بطنان: موضع بالشام كان عبد الملك يشتو فيه أثناء الحرب بينته وبين مصعب بن الزبير، عماعم: جماعات متفرقة.

ومن شعراء الغزل الذين ذكروا تلك القصور العرجي، الذي خاطب ذلك القصر ذا الأعمدة، والمقام على تلٍ عالٍ كأنه جبل وله أساسات قوية، ويحيط البساتين على التلال الصغيرة، ويتمنى له أن يظل عامراً مصوناً من الخراب، يقول:

أيُّها القَصرُ ذو الأَوَاسِيِّ والبُسْـ ـتَانِ بين القُصُورَ فَوقَ الظِّراب

خَصَّكَ الله بالعِمَارَةِ منهُ وَوَقَاكَ المَلِيْكَ وَشْكَ الخَرَاب

بمُنِيفٍ كأنَّهُ رُكْنُ طَوْدٍ ذي أوَاسٍ مُطَمَّرِ المِحْرَابِ[1]

وهذا القصر الذي يدعو له الشاعر بطول البقاء لم يكن منفرداً وإنما تحيط به قصور أخرى وذكر وضّاح اليمن قصر صنعاء حيث تقيم فيه الحبيبة، فهو بعيد لكنه يصل إليه من أجل رؤيتها، حتى لو قطع الجبال العالية، والأرض البعيدة المليئة بالحيوانات الوحشية، يقول:

زائرٍ في قُصُور صَنْعَاءَ يَسْري كُلَّ أرْضٍ مَخُوفَةٍ وَجِبَالِ[2]

كما أنها تقيم في قصر عظيم والمياه تجري حوله، فالحبيبة منعّمة من ذوات الدلال والعز والتنعم، يقول وضاح:

وأمْسَت بقصرٍ يَضْرِبُ الماءُ سَورُه وأصبَحَتْ في صَنْعَاءَ التَمُس النَّدى[3]

والصمة القشيري يريد أن يصعد أعلى القصر لعله يرى الحبيبة وأهلها، يقول:

خَلِيلَيَّ قُوْمَا أشْرَفا القَصْرَ فَانَظُرا بأَعْيَانِكُمْ هل تُؤنسانِ لَنَا نَجْدَا

وإنِي لأخشى إن عَلَوْنَا عُلْوَّةً ونشرف أن نزداد ويحكما بُعْدَا[4]

---

(1) ديوان العرجي، ص180، الأواسي: جمع آسية، وهي دعامة البيت والسارية في وسطه، الظراب: التلال الصغيرة المتقاربة، الوشك: القرب، المنيف: القصر العالي، الطود: الجبل، المحراب: أعلى البيت.

(2) ديوان وضّاح اليمن، ص70، وانظر الأغاني، ج6، ص162.

(3) نفسه، ص99، انظر الأغاني، ج6، ص164.

(4) ديوان الصمة بن عبد الله القشيري، ص64.

فالقصور التي انتشرت في العصر الأموي، وتفنن الشعراء في الحديث عنها يعد مظهراً حضارياً من المظاهر الحضارية الراقية، فهذا النابغة الشيباني يصف قصر الحبيبة التي تسكنه، فهو قصر جميل تحيط به الرياض المتلفة الأشجار، يقول:

فكأن الرياضَ أو زخرف المجـــ ــدل على قطوع الرحال

خرجوا أنْ راد مخيلة غيثٍ من قصور إلى رياض أُثالِ[1]

وعمر بن أبي ربيعة يتحدّث عن القصور التي كانت تقيم فيها الحبيبة فهي إن أرادت أن تنزل بالخيف من منى فذلك المنزل والمسكن، وإن أرادت أن تحل مكة فهناك القصر في فصل الشتاء، يقول:

وتَرَى لها دَلاًّ، إذا نَطَقَتْ تَرَكْت بنات فؤادِهِ صُعْرا

بالخَيْفِ مَنْزِلُهَا وَمَسكِنُها وَتَحُلُّ مكَّة إن شتتْ، قَصرا[2]

ولكن عندما يخلو هذا القصر العظيم من الحبيبة فما الفائدة منه فمهما بلغ به من العظمة والجمال، فهو ليس جميلاً، لكن الحبيب يرى وطنه بمكة فقط، حيث هناك الأهل والوطن، يقول الحارث بن خالد المخزومي:

وإنّ ذا القَصْرَ حَيَّ ما به وطني لكن بمكَّة أمسَى الأهلُ والوطن[3]

وقد يتعذر رؤية الحبيب حبيبته؛ لأنها تسكن قصراً عالياً مشيداً يصعب الوصول إليه، وهذا ما أشار إليه المتوكل الليثي، يقول:

ومِنْ دونها صَعْبُ المرافي مُشَيَّدُ نياق وصرّارات مؤتلفان[4]

والفرزدق قد أحب فتاة وكانت تبادله الحب، لكنه كان يتعذر عليه الوصول إليها؛ لأنها كانت تسكن قصراً عالياً له شرفات وحوله الحراس والكلاب المدربة، يقول:

---

(1) ديوان النابغة الشيباني، ص145.

المخيلة: ما ظهر من السحاب.

(2) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص285، صعرا: مائلة للدلالة على العتب أو الكبرياء أو الغضب.

(3) ديوان الحارث بن خالد المخزومي، ص105.

(4) ديوان المتوكل الليثي، ص191.

فكيف بمحبوس دعاني ودونه دروبٌ وأبواب وقصر مشرَّف

وَصُهْبٌ لحاهم راكزون رماحَهم لَهُمْ دَرَق تحت العوالي فصّعق

وضاريةٌ ما مرّ إلا اقتسمته عليهنّ خوّاصٌ إلى الظبي فخشق

يبلّغنا عنها بغير كلامها الينا من القصر البنانُ المطرّف[1]

والنابغة يصف قصر الحبيبة بأنه مشيد تحيط به الأبواب العالية، والمحبوبة تدعو الحبيب للذهاب إليها، ولكن يصعب الوصول إليها فهي محبوسة بداخل ذلك القصر العالي، يقول:

فكيف بِمَحْبَوسٍ دعاني، ودونه درُوبٌ وأبوابٌ وقصرُ مشرّف[2]

وعلى ذلك حلت القصور محل الخيام والبساتين عند بعض الشعراء، وتحولت العرصات إلى جنائن وبساتين وارفة الظلال، وخلف الشعراء كثيراً من أوصاف المنازل والدور والقصور، وكثرت أوصاف القصور الأموية ومنتجعاتهم في شعر أولئك الشعراء المتصلين بالبلاط الأموي، ومن الشعراء الذين ورد ذكر القصور الأموية في أشعارهم جرير، يقول:

أنىَّ تَحِنّ إلى المُوقَر، بَعْدَما فَنيَ العَرَائِكُ والقَصَائِدُ رارُ

هَلّ مثل حاجتنا إليكم حاجة أو مثل جاري بالموقر جارُ[3]

كما ورد ذكر قصر "الموقر" في شعر الأحوص، يقول:

نَظَرْتُ رَجاءَ بالمُوَقَّرِ أنْ أرى أكاريس يَحْتَلّون خاخا ومُنْشِدا

وأوْفَيْنَ من نَشْزٍ من الأَرْضِ يافِعٍ وقَدْ يَشْعَفُ الإيقاءُ من كان مَقْصِدَا[4]

---

[1] شرح ديوان الفرزدق، ج1، ص203، وانظر الحائر، ص41.

محبوس: إشارة إلى أن صاحبته التي يتغزل بها قد حبست في القصر ومنعت من الخروج، مشرف: البناء الذي فيه شرفات، وهي الأماكن العالية المطلة في البناء.

ضارية: الكلاب الضارية، خواض مخشف: يخوض بجرأة.

(2) ديوان النابغة الشيباني، ص385.

[3] شرح ديوان جرير، ص165-166، وانظر الحائر بحث في القصور الأموية في البادية، ص43.

[4] ديوان الأحوص الأنصاري، ص117.

والشاعر كثير عزة، كان قد اتصل بالأمويين ومدحهم، فهو يذكر قصري الموقر والقسطل، يقول:

سقى اللهُ حيّا بالمُوَقَّرِ دارُهُمْ إلى قسطْل البلقاءِ ذاتِ المَحاربِ
سَوارِي تُنْحي كلَّ آخرِ لَيْلَةٍ وَصَوْبَ غَمامٍ باكراتِ الخبائِبِ[1]

وأشار الأخطل أيضاً إلى منطقة البلقاء التي تكثر فيها القصور الأموية، يقول:

حتَّى حَدَوْنا، إلى البَلْقَاء فلَّهُمُ والذل مُجْحِرُ كلب حيثما انجحروا
يَمْشُونَ تحت بُطونِ الخيل، تَصرْعُهُمْ زُرْقُ الأسَنَّة، والخطَّةُ السُمُر[2]

فالحضارة وأشكالها المختلفة كانت ظاهرة بارزة في العصر الأموي بسبب الثراء والمال، الذي كان يأتي من البلاد التي فتحها العرب في ذلك العصر[3]، فقد ابتنى الأشراف الدور والقصور، ولم يقتنع بعضهم بدار واحدة أو قصر واحد، والتفت البعض الأخر إلى تزيين البناء وتجميله بحجارة مختلفة الألوان أو تجصيصه من الظاهر والباطن[4].

5.1.3 البساتين والمنشآت الأخرى

لقد بلغت الحضارة أوجها في العصر الأموي، وبدأ الاهتمام بجميع شؤون الحياة المختلفة، ومن أهم المظاهر التي اهتم بها الأمويون الزراعة، كونها تشكل مصدراً كبيراً.

وبدت العناية بإصلاح الأراضي الزراعية، وإقامة مشاريع الري من أيام الفتح الأدنى، عهد عمر بن الخطاب، إذا أمر أبا موسى الأشعري أن يحفر لهم نهراً فحفر

---

(1) ديوان كثير عزة، ص63، انظر الحائر، ص48، البلقاء: كورة بين الشام ووادي القرى.

(2) شعر الأخطل، ج2، ص517-518، حدونا: سقنا، البلقاء: كورة بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان.

(3) مقدمة ديوان العرجي، ص42.

(4) عمر بن أبي ربيعة، (عصره)، ج1، 224.

نهر الأبله[1]، كما أبدى الخلفاء اهتماماً بمشاريع الري، ليتفق مع الحاجة الماسة لها، فقام الولاة بحفر القنوات التي تصل بين الأنهار، وعمقوا بعضها وكان الحفر على نفقة الدولة في معظم الأحيان، أو على نفقة المنتفعين الزراعيين[2].

ومن الخلفاء الذين اهتموا بالزراعة اهتماماً بالغاً، معاوية الذي اهتم ببلدته القديمة (مكة) وأجرى فيها عشرة عيون، واتخذ فيها البساتين، وظل الأمويون يعنون بها، فكانوا يستنبتون فيها الأشجار ويحفرون الخزانات والآبار، فقد روي أن سليمان بن عبد الملك أراد الحج، فكتب إلى عامله خالد القسري، والي مكة يأمره أن يجري عيناً من الماء العذب، فعمل خالد بركة في أصل (ثبير) بحجارة منقوشة، واستنبط ماءها من ذلك الموضع، ثم شق من هذه البركة عيناً تجري إلى المسجد الحرام من قصب من رصاص[3].

كما روى ياقوت أن سعيد بن العاص ابتنى بعرصة العقيق قصراً واحتفر بئراً، وغرس النخل والبساتين، فكان نخل بستانه أبكر نخل أهل المدينة[4].

وهناك الكثير من المدن الحجازية التي اشتهرت بالزراعة والبساتين والكروم، وكان بها المياه الجارية التي تسقى هذه المزروعات، ومن هذه المدن مدينة الطائف، التي اتخذها أشراف الحجاز مصيفاً لهم، فقد بلغ عدد سكانها في الصيف عشرين ألفاً بينما لا يتجاوز عدد سكانها الخمسة آلاف شتاءً، وتعد الطائف خير مصيف على الإطلاق، فمناخها جميل، وهواؤها عليل، وماؤها عذب جار، وأشجارها كثيرة وأثمارها وفواكهها طيبة متنوعة، ففيها العنب والتين والرمان والتفاح والمشمش، وغيرها، وفيها

---

(1) الحياة الاقتصادية وأثرها في الشعر الأموي، أنعام موسى رواقة، رسالة جامعية، الجامعة الأردنية، 1995، ص 24.

(2) التفاعلات الحضارية في فجر وضحى الإسلام، ص219-220.

(3) الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ص170.

(4) معجم البلدان، ياقوت الحموي (الإمام شهاب الدين أبو عبد الله) (ت:626هـ)، ج3، دار صادر، بيروت، 1955 ، ص641.

وفي جوارها مزارع كثيرة، وحقول خضراء، يقع بعضها على الطريق بينها وبين مكة[1].

فنتيجة لذلك ظهر اهتمام الخلفاء والولاة بالمزارع والبساتين، لتكون بلادهم خضراء تضاهي غيرها من الأمم المحيطة بها.

لذلك كان من الطبيعي أن تنال البساتين، وما يزرع بها من الشجر والنبات والأزهار والثمار والأعشاب حظاً وافراً، من شعر شعراء الغزل في العصر الأموي لاتصالها المباشر بحياتهم، وعلاقتها بحاجاتهم التي يعتمدون عليها في مواجهة الحياة، فهذه البساتين وما تحتوي من مزروعات وثمار منها ما يدخل في المأكل، أو بناء البيوت والخيام، ومنها ما يدخل في صناعة السهام والرماح والأمشاط، وغيرها من المصنوعات، ومنها ما كانوا يستعملونه في حياتهم، وكانوا ينتفعون ببعضها في دباغتهم وزينتهم، إضافة إلى ما ترعاه الإبل والحيوانات الأخرى [2].

وصورة الاهتمام بالبساتين والمزروعات، ظهرت في تغني شعراء الغزل في العصر الأموي بها. فتحدث الشعراء عن الأشجار التي كانت تزرع في تلك البساتين ومنها شجر الأراك، فهذا كثير عزة يربط بين زيارة طيف الحبيبة له، وبين شجر الأراك، فخيال الحبيبة عندما زاره كان قد بلغ شجر الأراك، يقول:

تسَدَّتْ ومَر دوننا وأراكُهُ ودُورانُ أمسى دُونَها ونَقيبُ[3]

كما أن كثيراً من هذه الأشجار كانت في أرض بيشة ملقى للحمام الشجي النواح، يقول:

إلى أرُكٍ بالجِزْعِ من أَرْضِ بيشَةٍ عَلَيْهِنَّ صَفَّيْنَ الحَمامُ النَّوائِحُ[4]

---

(1) عمر بن أبي ربيعة، (عصره)، ج1، ص100.

(2) وصف الطبيعة في الشعر الأموي، إسماعيل أحمد شحادة العالم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1407 هـ/1987م، ص78.

(3) ديوان كُثَيِّر عزة، ص47، تسدى: أخذ السدة علواً ودوران ونقيب، مواضع بين المدينة وتيماء.

(4) نفسه، ص101، الجزع: منعطف الوادي، صيفن: قضين أيام الصيف.

وهذا الشجر، يستخدم لتنظيف الأسنان، لذلك فإن بثينة حبيبة جميل عندما تنظف أسنانها المتفرجة بالمسواك المأخوذ من شجر الأراك، يبدو فمها المنفرج عن ابتسامته مشعشاً كأنما سقي خمراً صافية، يقول جميل:

تَسُوكُ بِقُضْبَانِ الأرَاكِ مُفَلَّجاً يُشَعشِعُ فِيهِ الفَارِسِيُّ المُرَوَّقُ[1]

أماالعرجي، فقد شبه الحبيبة، وهي تتمايل خوفاً من أعين الوشاة بغصن من شجر الأراك، يقول:

فَتُسْرِعُ أحْياناً، إذَا هِيَ لم تَخَفْ، وتَخْشَى عُيُوناً حَوْلَها، فَتَمِيَّلُ
كمَا مَالَ غُصْنٌ مِنْ أرَاكِ بَرِيرَةٍ تُحَرِّكُهُ رِيحُ من المَاءِ مُخْضَلُ[2]

وذو الرمة، جعل الحبيبة تجلو أسنانها بمسواك من فرع شجر الأراك، وكأن هذا المسواك مطيب بالعنبر والمسك، كما شبه بياض أسنانها ببياض زهر الأقحوان، يقول:

وتَجْلُو بِفَرْعٍ مِنْ أرَاكٍ كأنَّهُ من العَنْبَرِ الهنديِّ والمسك يُصبَحُ
ذُرَى أُقْحُوانٍ واجَهَ اللَّيْلَ وارتَقَى إليه النَّدَى من رامة المتروَّحُ[3]

ومن أنواع الأشجار الأخرى التي ذكرها شعراء الغزل في العصر الأموي، شجر الغضا.

ومن الشعراء الذين أشاروا في أشعارهم إلى شجر الغضا، الصمة بن عبد الله القشيري، الذي خاطب خليليه في استخبار شجر الأثل والغضا ونبت الربى الذي ينبت بواد ودّان، يقول:

خَلِيلَيَّ هل يُستَخبَرُ الأثْلُ والغَضَى ونَبْتُ الرُّبَى مِنْ بطن وَدَّان والسِّدْر[4]

---

[1] ديوان جميل بثينة، ص132، المفلج: الفم المفلج الأسنان: أي المتسع ما بينهما، تسوك: تنظف أسنانها بالمسواك. الفارسي: الخمر، المروق: المصفىّ.

[2] ديوان العرجي، 304، تميل: تتميل، البريرة: أول ما يخرج من ثمر الأراك.

[3] ديوان ذي الرمة، ص203، يصبح: يسعى، واجه الليل: استقبله، رامة: موضع.

[4] ديوان الصمة بن عبد الله القشيري، ص70.

وجرير يحب شجر الغضا رغم لوم العواذل له، وكانت هذه الأشجار تزرع في الرياض الخضر الملتفة، حيث تقيم الحبيبة، يقول:

فإني، ولو لام العواذل، مُولَعُ بحبّ الغضا من حُبِّ مَنْ لا يزايله
وذا مرخٍ أحببتُ مِنْ حب أهلّه وحيث انتهت في الروضتين مسايله[1]

ومن الأشجار الأخرى التي ظهرت في شعر شعراء العصر الأموي، شجر النخيل، ولأهمية هذه الشجرة، ورد ذكرها في القرآن الكريم في اثنتين وعشرين آية[2]، وأنها من طعام أهل الجنة، وورد ذكرها في قوله تعالى: "وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً"[3]، كما أثارت النخلة خيال الشعراء العرب في العصر الجاهلي، "بتطاولها وشموخها، وسموها وتعاليها وعزتها، وصلابة جذعها، وغزارة سعفها، وليونة كربها، وجمال قدها، وحلاوة ثمرها، وتميز ذكرانها عن الإناث، وقدرتها على الصمود في وجه سموم الصحراء الحارة"[4]، كما انتشرت زراعة النخيل في جزيرة العرب وبخاصة الأماكن التي يتوافر فيها الماء، حتى وإن كانت كميته قليلة؛ لأنه يقاوم العطش، كما أن النخلة أصبحت رمزاً شامخاً من رموز الصحراء[5].

ويعد شجر النخيل من الأشجار المباركة، فضلاً عن استعماله في كثير من الصناعات، ولهذا كان يشكل مصدر دخل اقتصادي كبير، وتعد منطقة الجزيرة العربية من المناطق المنتجة لشجر النخيل، وكون هؤلاء الشعراء عاشوا في قلب الجزيرة العربية، لذلك كان لا بد أن يكونوا أعرف في وصف النخيل الذي ينبت في أراضيهم من غيرهم[6].

---

(1) شرح ديوان جرير، ص420.

(2) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (نخل)، الناشر، مؤسسة مناهل الفرقان، بيروت. لبنان

(3) سورة مريم، الآية: 25.

(4) مظاهر الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي، ص89-90.

(5) وصف الطبيعة في الشعر الأموي، ص80.

(6) نفسه، ص80-81.

ومن شعراء الغزل الذين ذكروا النخل في أشعارهم، وكانوا يختارون لها أفضل المعاني لتتلاءم مع أشعارهم، مجنون ليلى، فهو يتمنى أن توافق ليلى على الحج كل سنة، وأن تلزم نفسها أمراً تراه كان مقضياً، ويتمنى أن يكون رفيقاً لها في الحج، فتجمعهم طريق ملتوية قرب نخلتين، ويكون التواء الطريق ضيقاً يصعب على المطية اجتيازه، يقول:

فيَا لَيتَ لَيْلَى وافَقَتْ كُلَّ حَجَّةٍ   قضاءً على لَيْلَى وأني رَفيقُها
فَتَجْمَعَنا من نَخْلَتَيْنِ ثنيَّةٌ   يَغَصُّ بأعْضادِ المَطِيِّ طريقُهَا[1]

وقد كان جميل يمشي وسط المزارع والنخيل في وادي القرى، وهو يتبختر في مشيته فرحاً، يقول:

ولَقَدْ أجُرُّ الذَّيْلَ في وادي القُرَى   نَشْوَانَ بين مَزَارعٍ ونَخيلِ[2]

أما العرجي فقد صور بُعد الحبيبة عنه بشجر النخيل الطويل الذي حان قطاف رطبه، يقول:

فَتَبَعْتُهُنَّ لنية شَحطَتْ بِهِمْ   كَالنَّخْلِ حَانَ لِمُجتَنٍ أرْطَابُهُ[3]

كما خاطب الأحوص صاحب النخلات، وسأله عن حبيبته نعم، وإن كان هناك من حرب بين قومه وقومها فهو دائماً في سلم، يقول:

أيا صاحِبَ النَّخْلات مِنْ بَطْنِ أرْثَدٍ   إلى النَّخْلِ مِنْ ودَّان ما فَعَلَتْ نُعْم
فإنْ تَكُ حَرْبٌ بَيْنَ قَوْمي وقَوْمِها   فإنِيّ لها في كلِّ حَادِثةٍ سِلْمُ[4]

وشبه عمر شعر الحبيبة الجميل المسترسل على الاكتاف بقنو النخلة المتكور:

---

(1) ديوان مجنون ليلى، ص144، ثنية: طريق ملتوية، أعضاء المطي أفخاذ البعير.

(2) شرح ديوان جميل، ص176، وانظر الأغاني، ج8، ص52.

(3) ديوان العرجي، ص178، النية: النوى والبعد، شحط: بعد ونأى، الأرطاب: جمع رطب وهو جنى النخل.

(4) ديوان الأحوص، ص253، أرشد: واد بين مكة والمدنية في دار الأبواء، ودان: قرية بين مكة والمدينة من نواحي الفرع.

سَبْتُهُ بِوَحْفٍ في العقاصِ مُرَجّلٍ، أثيثٍ كقِنْوِ النّخلةِ المُتَكوّرِ(1)

وهذا التشبيه صورة مكررة في الشعر الجاهلي يدل على توافر النخل في البيئة العربية.

القطن

هناك الكثير من المزروعات والأشجار التي ظهرت في شعر الغزل، وكانت هذه المزورعات تلقى العناية والاهتمام، لأنها تعود بالمنفعة على أهلها، ومن أهم هذه المزروعات القطن، وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى هذه الزراعة، فقد جعلها صناعة قائمة بذاتها، يقول: "هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها وزراعتها، وعلاج نباتها، وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه وإحكام الأعمال لذلك، وتحصيل أسبابه ودواعيه وهي أقدم الصنائع"(2).

ومن الشعراء الذين ورد ذكر القطن في أشعارهم كثير عزة، فقد وصف الموكب الذي يحمل النساء، وقد بلغ هذا الموكب الطريق المستقيم، كأنه ينحدر من الجوزاء، ولفه ضباب أبيض كالقطن النسيج، يقول:

فَكِدْتُ وقَدْ تَغَيّبتِ التّوالي وَهُنّ خواضعُ الحَكَماتِ عُوجُ
بِذَي جَدَوٍ من الجوزاءِ مُوفٍ كأنّ ضبابَهُ القُطْنُ النّسيجُ(3)

وهناك نوع آخر من الأشجار التي وردت في أشعار شعراء الغزل هو العنب: "وقد أحصى الأصمعي ستة عشر نوعاً من العنب الطائفي بأوصافها وأحجامها وألوانها،

(1) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص208، الوحف: الشعر الكثيف الأسود
العقاص: جمع عقيصة وهي خصلة الشعر، مرجل: ممشط.
القنو: عنقود النخل

(2) مقدمة ابن خلدون، ص723.

(3) ديوان كُثَيِّر عزة، ص93، التوالي: أواخر الركبان، الحكمات: جمع حكمة وهي ما أحكم حول حنك الدابة، خواضع الحكمات: محلولة اللجم أو مرسلة القياد، عوج: مائلات.

وما صغر حبه منها، وعظم، كما ذكر أبو حنيفة صنفاً من العنب أسود كأنه البلوط في طوله، كانت تشبه به أصابع العذارى المخضَّبة"[1].

وتحدث شعراء الغزل عن العنب وورد ذكره في أشعارهم، وقد أشار إلى ذلك جزير حينما شبه به شعر الحبيبة عندما تغسله بالمسك ويتدلى مسترسلاً ناعماً كعناقيد العنب المتدلية التي لم تقطف، يقول:

تَعُلُّ ذكيَّ المِسك وحفا كأنَّهُ عَنَاقِيْدُ مِيل لَمْ ينلهُنَّ قاطف[2]

وقال الصمة في وصف شعر الحبيبة وتداخله كأنه قطوف العنب التي تدلت من الكروم الغزيرة الملتفة.

ودَاجِ على اللَّبات وَحَفٍ كأنَّهُ عَنَاقِيْدُ جَوْنٍ مِنْ كرومٍ تَدَلَّتِ[3]

وشبه العرجي شعر الحبيبة عندما يتدلى فوق جيدها بغزارة ثمر العنب المتدلي يقول

تُرِيكَ وَحْفَاً فَوقَ جيدٍ لَهَا مِثْلَ رُكَامِ العِنَبِ المُدْمَجِ[4]

كما أشار الحارث بن خالد المخزومي إلى تلك الحدائق والبساتين التي كانت تزرع بالقرب من البيوت، حيث تزرع بالعنب والتين وغيرها من الأشجار الأخرى، يقول:

يا دارُ أقفرَ رَسَمُها بين المُحَصَّبِ والحَجُونِ
أقْوَتْ وغيَّر آيَها مَرُّ الحوادث والسنين
بحدائقٍ محفوظةٍ بالبيت من عِنَبٍ وتِينِ
يا بُسْرُ أنِّي فاعلمي باللهِ مجتهداً يَمِينِي[5]

---

(1) وصف الطبيعة في الشعر الأموي، ص109.

(2) شرح ديوان جرير، ص308.

(3) ديوان الصمة بن عبد الله القشيري، ص68.

(4) ديوان العرجي، ص190، الوحف: الشعر الكثيف الأسود، الجيد: العنق، المدمج: الكثيف الغض.

(5) شعر الحارث بن خالد المخزومي، ص107.

وسط تلك الرياض والحدائق الجميلة، يبعث لدى الحبيب الإحساس والدافع للتغزل بالحبيبة وذكرها، وكتابة أجمل الأشعار، ونظم أبيات الحب والغرام(1).

فالشعراء عندما يذكرون تلك الرياض، لا يذكرونها ليصفوا الروض وجماله بل يصفونها ليشبهوا الحبيبة بها، أو ليفضلوها عليه في جمالها ورقتها.

وكل شيء في هذه الرياض يذكر بالحبيبة، فصوت الحمائم، وشجوها وترنيمها يذكر الحبيب بصبابته القديمة، ومن الشعراء الذين تغنوا بجمال الحبيبة وسط تلك الرياض، عمر بن أبي ربيعة، يقول:

قالتْ لجارتِها عِشاءَ إذْ رأت ... نُزَهَ المَكانِ وغَيْبَةَ الأَعْداءِ

في روضةٍ يَمَمْنَها مَوْلِيَّةٍ ... مَيْثاءَ رابيةً بُعَيْدَ سماءِ(2)

ووقف الأخطل أمام تلك الرياض ووصفها، فروضته خضراء متفتحة الأزهار، تقع في موضع القهر بين الأودية والجبال، ينهمر عليها المطر من سحاب أسود متجهم، كان سبباً في تكاثر النبات فيه، حيث التف بعضه على بعض، ومع ذلك فإن هذه الروضة الطبيعية النضرة ليست بأجمل من صاحبته، يقول:

ما رَوْضَةٌ خَضْراء، أزهَرَ نَوْرُهَا ... بالقَهْرِ بَيْنَ شقائقٍ ورِمالِ

بَهِجَ الرَّبيعُ لها، فجَادَ نَباتَها ... ونَمَتْ بأسْحَمَ وابلٍ هطّالِ

نَفَتْ الصبَّا عَنْها الجَهَامَ وأشرفت ... للشمَّس عَبَّ دُجُنَّةٍ وطِلالِ(3)

كما وصف العرجي الفتيات الجميلات المنعمات، وهن يتمايلن وسط تلك الرياض الجميلة، التي أرتوت من كثرة المياه، يقول:

خَرَجَتْ تَأطَّرُ في أوانس كالدُّمَى ... والمُزْنُ يبْرُقُ بالعَشيِّ رَبَابَهُ

يَمْشِيْنَ مَشْيَ العَيْن في مُتَأنِّقٍ ... مِنْ نَبتِهِ غرِد الضحَّاءِ ذُبَابُهُ

---

(1) عمر بن أبي ربيعة (حبه وشعره)، ج3، ص534.

(2)ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص11-12، يممتها: قصدنها، موليّة: مروية، رواها المطر، ميثاء: أرض سهلة لينة، سماء: مطر، نزه المكان: بعد المكان

(3) شرح ديوان الأخطل،ص550.

في زَاهِرٍ مثل النُّجُوم أمَالَهُ   ظَلَمُ فَتَمَّ ولَمْ يَهِجْ إعْشَابُهُ[1]

وهناك روض آخر وقف عنده أبو النجم العجلي، حيث أكثر في أراجيزه من ذكر الرياض ملتفة الأغصان عميمة النبت يغرّد ذبابها ويتعلل من زهره الذي كلله وغطاه وامتص رحيقه، يقول:

أُنُقٌ ترى ذُبَابُها تُعَلِّلُهْ
من أزَهَرِ الروض الذي يُكلِّلُهْ
وكأنَّ نُشَّاب الرِّياح سُنْبُلُهْ[2]
وأخضَرٌ نَبتاً سِدرُهُ وحُرْمُلُه[3]
وأبيضٌ إلاَّ قاعُهُ وجَدْولُهْ[4]
وأصبَحَ الرَّوْضُ لوَيًّا حَوْصلُه[5]
وأصفر مِنْ تَلْجٍ فليجٍ بقَلُهْ[6]
وإِنْحَتٌ مِنْ حَرِشَاءِ فلجٍ خَرْدَلُهْ[7]

---

(1) ديوان العرجي، ص176، تأطر: تتأطر أي تتثنى وتتمايل، الدمى: الصور والتماثيل.
الأوانس: جمع آنسة وهي الفتاة التي تؤنس الرجل بحضورها.
المزن: السحاب ذو السماء، الرباب: السحاب الذي يغطي الأرض.
العين: جمع عيناء البقرة الواسعة العين.

(2) كانت سنابل الزرع سهام الريح التي تشهرها في كل اتجاه.

(3) السدر: شجر النبق.
الحرملة: نبتة لها حب كالسهم.

(4) القاع: ما اطمئن من الأرض.

(5) اللوي: ما بين الأخضر واليابس.
الحوصل: القمح.

(6) التلج: ما اتسع من فم الوادي.
الفليج: الواسع.

(7) الحرشا: خردل البر.
انحت الورق: سقط وتناثر.

وروضة كثير توجد في أرض غليظة رملها طيب، وفيها شجر الجثجاث والعرار الندى تكثر عليها حبات الندى، وهذه الروضة ذات رائحة جميلة وكأن تجار العطر، قد تلاقوا، ومع ذلك فإن ما ينبعث من أردان عزة أطيب منها، يقول:

وما رَوْضَةٌ بالحَزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرى يَمُجُّ الندى جَثْجَاثُهَا وَعَرارُهَا
لَهَا أَرَجٌ بَعْدَ الهُدوءِ كأنما تلاقَتْ بها عطّارةٌ وتجارُها
بأطيَبَ من أرْدَانِ عَزَّةَ نحوْها وَقَدْ أُوقِدَتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارها[1]

وأشار الصمة إلى أن أرض الحبيبة التي تسكن فيها يسودها الدفء في الشتاء، وأما في الصيف فتخضر فيها الأعشاب الزاهرة، يقول:

دَفِـءِ المَجَانِي بالشِّتَاءَ وإِنْ تَصيفَ ترى فيْه روضاً مسْتَكِفاً قد أعشَبا[2]

ويتمنى المجنون لو كان هو والحبيبة غزالين يرعيان في الرياض الواسعة ذات الأعشاب المختلفة، يقول:

ألا لَيْتَنَا كُنَّا غَزالَيْن نَرْتَعي رِيَاضاً مِنْ الحَوذان في بلدٍ خَفْرِ[3]

الخاتمة

عرضت هذه الدراسة لصورة من صور المجتمع الأموي وهي المظاهر الحضارية في شعر الغزل في العصر الأموي، من خلال وصف الشعراء لهذه المظاهر، ثم بعد ذلك فصلت كل مظهر من هذه المظاهر، فدرست في الفصل الأول عن مظاهر السلوك الإجتماعي، ومن أهم مظاهره، مظاهر علاقة المرأة بالرجل، وعلاقة المرأة والرجل بالمجتمع، وقد تبين لي أن المجتمع كان يتمتّع بشئ من الحرية في التعامل والسلوك الاجتماعي فظهر في إمكانية لقاء الرجل بالمرأة وشروط الحفاظ

---

(1) ديوان كُثَير عزة، ص163–164، الحزن: الأرض الوعرة، يمج: ينضح، أردان: جمع ردن، وهو أصل الكم من الثوب، موهناً: ليلاً، ارطب: الندي.

(2) ديوان الصمة، ص27.

(3) ديوان مجنون ليلى، ص109، الحوذان: نبت يرتفع قدر الذراع له زهرة حمراء في أصلها صفرة، طيب الطعم.

على السلوك الاجتماعي المرضى: في عفة واحترام ، وحين يفتضح أمر الشاعر المحب يتخذ الأصدقاء أو الجواري أو من يقرب الفتاة ليمهدوا له سبيل اللقاء والمحادثة. ثم وقفت عند مظاهر اللباس والزينة التي ظهرت في العصر الأموي وتفنن الشعراء في وصفها، فتناولت من خلال دواوين الشعراء الأبيات التي ظهرت فيها أنواع الملبوسات بمختلف أصنافها، وتفنن الشعراء في اظهار صورة المرأة الجمالية من خلال اللباس، وتناولت أيضاً الحديث عن الطيب وأنواعه المختلفة باعتباره من المظاهر الحضارية التي أصابها التغير والتطوير، واكثر الرجال والنساء منه في ذلك العصر، ثم تحدثت في هذا الفصل عن الزينة التي كانت شائعة في ذلك العصر واستخدمتها المرأة الأموية لإظهار زينتها وجمالها، ومظاهر الزينة مثل الخضاب والكحل باعتبارهما من المظاهر الجمالية البارزة منذ العصور القديمة ولا تزال المرأة تستخدمها في كحل عينيها وخضاب أطراف أصابعها، وتناولت في الحديث أيضاً اهتمام المرأة الأموية بتسريح شعرها وتمشيطه واستخدام الأصبغة المختلفة له، وبعض هذه المظاهر امتداد لما عرف في العصر الجاهلي، وبعضها الآخر يمثل تطور العصر وتفنن أهله في ملابسهم وسلوكهم.

كما تناولت البحث في الحديث عن مظاهر البناء والعمران، وكيف كانت صورتها عند الشاعر الأموي، فكانوا يستخدمون الخيام اثناء رحيلهم سعياً وراء الكلأ والماء، كما أوضحت صورة الهودج والظعائن والحدوج التي تحمل النساء الجميلات اثناء الإرتحال خوفاً عليهن من حرّ الشمس أو البرد، وهي صورة عرفها الشعراء في العصر الجاهلي ومثلت مظهراً من المظاهر الحضارية في العصر الأموي؛ لانها تمثل نمطاً من انماط الحياة في البادية، وأما صور الحاضرة فقد وجد لها البحث أنماطاً جديدة متمثلة بالمباني بيوتاً وقصوراً وقباباً وأبواباً.

المراجع

الآلوسي، عادل كامل، (1999). **الحب عند العرب، الدار العربية للموسوعات** ،ط1. بيروت. لبنان.

امرؤ القيس، امرؤ القيس بن حجر الحارث الكندي، (1958).**الديوان**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط). دار المعارف، مصر، م.

الأبشيهي،(شهاب الدين محمد بن أحمد).(1414هـ-1994م)، **المستطرف في كل فن مستظرف**. (د.ط). ج1. منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت . لبنان.

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن محمد الظاهري.(1986) **طوق الحمامة في الألفة والآلاف**،(د.ط)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون.(1999). **المقدمة**،(د.ط)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت.

ابن مقبل، تُميم بن أُبي بن مقبل بن عجلان،(1962). **الديوان**، تحقيق عزة حسن، (د.ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (1994). **لسان العرب**، (د.ط). دار صادر. لبنان.

ابن الاثير ،أبو السعادات المبارك، الإمام مجد الدين، **النهاية في غريب الحديث والأثر**.(د.ط) . ط1، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان.

أحمد، محمد فتّوح، (1413هـ-1993). **الشعر الأموي**، ط1، دار المعارف ، القاهرة.

الأحوص الأنصاري، **شعر الأحوص**، 1411هـ- 1990م.تحقيق عادل سليمان- قدّم له شوقي ضيف، ط2 ،الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.

الأحوص الأنصاري، شعر الأحوص، 1422هـ-2001م.جمع وتحقيق محمد نبيل طريفي، ط1 ،عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.

الأخطل في شعره،1981 ،(**سيرته ونفسيته وشعره**)، بقلم إيليا الحاوي، دار الثقافة، ط2، بيروت- لبنان،.

الأخطل، أبو مالك غيّاث بن غوث التغلبي، 1391هـ- 1971م. شعر الأخطل،**صنعة السكري**، تحقيق فخر الدين قباوة، ج1، ج2، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط1 بيروت- لبنان.

أبو سويلم، أنور عليان، **الإبل في الشعر الجاهلي**.(1403هـ-1983م)، ج1،ط1،دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.

أبو سويلم، أنور عليان،(1410هـ-1991م)، **مظاهر الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي**،(د.ط)، دار عمّار، الاردن.

أبو النجم العجلي ، 1401هـ-1981م .**الديوان**، تحقيق علاء الدين آغا. (د.ط). النادي الأدبي، الرياض- المملكة العربية السعودية.

الأصبهاني، أبو بكر محمد بن داود.(1406هـ-1985)، **الزهرة** ،تحقيق ابراهيم السامرائي، ج1، ط2 ،مكتبة المنار.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. 1423هـ-2002. (ت356هـ)، **الأغاني**، تحقيق إحسان عبّاس، ابراهيم السعافين، بكر عباس، ج11،10،9،8،6،5،2،1، ط1، م، دار صادر ، بيروت، لبنان.

الأنطاكي، داوود . (د.ت)، **تزيين الأسواق بتفضيل أحوال العشاق**.(د.ط)،ج2. المطبعة البهية المصرية.

أنس الوجود، ثُناء، (1988) ، **تجليات الطبيعة والحيوان في الشعر الأموي**، ط1،مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر.

البطاينة، محمد ضيف الله، (1423هـ- 2000م). **الحضارة الإسلامية**، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان.

توبة بن الحُمَير الخفاجي، 1387هـ- 1968م. **الديوان**، تحقيق خليل العطية،(د. ط) . طبع بمطبعة الارشاد، بغداد.

جبور، جبرائيل، عمر بن أبي ربيعة، 1971. **(حبه وشعره)**، ج3، دار العلم للملايين، ط1 ،بيروت، لبنان.

جبور، جبرائيل، عمر بن أبي ربيعة،1935.**(عصره)**، ج1، دار العلم للملايين، ط1 بيروت، لبنان،.

الجبوري، يحيي،(1989). **الملابس العربية في الشعر الجاهلي**، (د.ط). دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان.

جران العود النميري، الديوان،1982. **صنعة أبي جعفر محمد بن حبيب**، تحقيق نوري حمودي القيسي. (د. ط) ، دار الرشيد، العراق.

جرير، شرح ديوان(د. ت)، **ضبط وشرح إيليا الحاوي**.(د. ط)، ج2 ،الشركة العالمية للكتاب.

جميل بثينة، ، 1994م ،**شرح ديوان**، شرح وتحقيق عدنان زكي درويش، ط1 ، دار الفكر العربي، بيروت– لبنان.

الجواري، عبد الستار أحمد.(1421هـ–2000م).(د.ت) ، **دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي.**

حاتم الطائي،1990. **الديوان**، صنعة عيسى بن مدرك الطائي ، رواية هشام الكلبي، تحقيق عادل جمال سليمان،ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة

الحارث بن خالد المخزومي، 1392هـ–1972م .**شعر** ، يحيى الجبوري،، ط1 ،مطبعة النعمان النجف الأشرف.

الحموي، ياقوت، (شهاب الدين أبو عبد الله)،(1955)،(ت 626هـ)، **معجم البلدان**.(د.ط).ج3، دار صادر. بيروت.

الحوفي، أحمد محمد ، (د.ت).**الغزل في العصر الجاهلي**، (د.ط)، دار القلم. بيروت. لبنان.

الحوفي ، احمد محمد ،(د.ت) ، **المرأة في الشعر الجاهلي**،(د.ط). دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

حسين، محمد عارف محمود، 1409هـ-1989م. **الغزل في شعر الأخطل (مقوماته، مضامينه، خصائصه)**، ط1،مطبعة الأمانة.

الخضر، عبد المعطي. (د.ت) ، **تاريخ العمارة**.(د.ط) مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية.

خليف، يوسف، (1961). **الحب المثالي عند العرب**. (د.ط) ، دار المعارف، مصر ، القاهرة.

خليف، يوسف، (د.ت) **دراسات في الشعر الجاهلي**، (د.ط)، مكتبة غريب.

درويش، العربي حسن.(د.ت)، **قضية الحب العذري في شعر بني أميَّة**، (د.ط). مكتبة النهضة المصرية.

ديورانت، ول، (1981). **قصة الحضارة**، ترجمة محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.. ط3،ج1 ،

ذو الرمة، غيلان بن عتبة العدوى، مطيع بيبللي، 1384هـ- 1964م. **الديوان**، ط2 المكتب الإسلامي للطباعة والنشر،

الراعي النميري، **شعر**،(د. ت) دراسة وتحقيق نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، (د. ط) مطبعة المجمع العلمي العراقي.

رومية، وهب، (1982) ، **الرحلة في القصيدة الجاهلية**،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط3 ،بيروت. لبنان.

السيجستاني، أبو سليمان بن الأشعث. (د.ت). **سنن أبي داوود**.(د.ط) بيت الافكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض. المملكة العربية السعودية.

سُحيم عبد بني الحسحاس، 1950م.الديوان تحقيق عبد العزيز الميمني.(د. ط). دار الكتب المصرية، القاهرة.

السراج، أبو جعفر، (1958) . **مصارع العشاق**. (د.ط) ، دار صادر ، بيروت. لبنان.

السلولي، عبد الله بن همام ، 1417هـ-1996م. **شعر**، جمع وتحقيق وليد محمد السراقبّي، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والنشر والتراث، دبي، ط1.

سنجلاوي، إبراهيم موسى، (د.ت)، (د.ن)، **الحب والموت في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي**، (د.ط).
الشوري، مصطفى عبد الله الشافي.(1996)، **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ط1 ،الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان، بيروت. لبنان.
الصفّار، إبتسام مرهون الصفّار، 1425هـ/2005م.**آفاق الأدب في العصر الأموي**، ط1 ،مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
ضيف، شوقي، (د.ت)، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، دار المعارف، ط2.مصر، القاهرة.
ضيف، شوقي، (د.ت)، **الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أُمَيَّة**، (د.ط)، دار المعارف، مصر، القاهرة.
ضيف، شوقي، (د.ت)، **العصر الإسلامي**، (د.ط)، دار المعارف، مصر، القاهرة.
الطرماح، 1388هـ-1968م .**الديوان**، تحقيق عزة حسن. (د.ط). (د. ن). دمشق.
طوقان، فواز أحمد، 1979. (د.ت)، **الحائر بحث في القصور الأموية في البادية**، (د.ط)، عمان.
العابدي، محمود. (د.ت)، **القصور الأموية**.(د.ط)، مطابع الشركة الصناعية،عمان.
العالم، اسماعيل أحمد شحادة. (1407هـ- 197م)، **وصف الطبيعة في الشعر الأموي**، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان.
عبده، عبدالله كامل موسى،1423هـ-2003م. **الأمويون وآثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وأفريقية**، ط 1 ،دار الآفاق الجديدة.
عبدالباقي، محمد فؤاد، (د.ت)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (د.ط)، الناشر: مؤسسة مناهل الفرقان، بيروت، لبنان.
عبدربه، محمود حسن، 1399هـ-1979م ، **عمر بن أبي ربيعة زعيم الغزل العربي**، (د.ط)، دار الشروق، جدة.

عبيد الله بن قيس الرقيات، **الديوان**، (د.ت)، تحقيق محمد يوسف نجم (د.ط)، دار صادر، بيروت– لبنان.

عدي بن الرقاع العاملي، 1407هـ– 1987م.**الديوان**، تحقيق نوري حمودي القيسي، وحاتم صالح الضامن. (د. ط) . مطبعة المجمع العلمي العراقي.

عدي بن زيد الطائي، 1990 .**الديوان**، صنعة عيسى بن مدرك الطائي، رواية هشام الكلبي، تحقيق عادل جمال سليمان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة.

عروة بن أذينة، ديوان شعر. (د.ت)، تحقيق يحيى الجبّوري، (د.ط)، الناشر مكتبة الأندلسي، بغداد.

العرجى، 1988م.**الديوان**، شرح وتحقيق: سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت– لبنان، ط1،

عطار، الصحاح 1990م. (**تاج اللغة وصحاح العربية**)، تحقيق احمد عبد الغفور ، دار العلم للملايين، ط4، بيروت ،لبنان.

عمر بن أبي ربيعة، **الديوان**.(د.ت) ، شرح يوسف فرحات، (د. ط) دار الجيل، بيروت– لبنان.

عطوي، رفيق خليل، 1986م.**صورة المرأة في شعر الغزل الأموي**، ط1. دار العلم للملايين.

عطوي، رفيق خليل، 1424هـ– 2003م. **فن الشعر في العصر الأموي (دراسة تحليلية)** ، ط1. دار العلوم العربية للطباعة والنشر .

حسين، طه، (د.ت)، **حديث الأربعاء**، ج1، ط12،د ار المعارف، مصر، القاهرة.

الفرزدق، 1407هـ–1987م. الديوان، **قدّم له علي الفاعور**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

الفرزدق، 1983 .**شرح ديون الفرزدق، إيليا الحاوي**، ج1، ج2، ط1 ،منشورات دار الكتاب اللبناني،.

فهد، بدري محمد، وآخرون، (د.ت). (د.ت)، **الحضارة العربية الإسلامية**، (د.ط).

فيصل، شكري، 1379هـ-1959م .**تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام**، (د.ط)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

القط، عبد القادر،(1407هـ-1987م). **في الشعر الاسلامي والأموي**.(د.ط). دار النهضة المصرية للطباعة والنشر، بيروت. لبنان.

القشيري، الصمة بن عبدالله ، 1401هـ-1981م .**الديوان** جمع وتحقيق عبد العزيز محمد الفيصل،(د.ط)، النادي الأدبي، الرياض.

قيس لبنى، 1997م.**شرح ديوان**، شرح راجي الأسمر، دار الفكر العربي، ط1، بيروت- لبنان.

كثَّير عزة، الديوان، 1995م. ، 1416هـ **شرح قدري مايو**، دار الجيل، ط1. بيروت- لبنان.

كُثَّير عزة، 1996م ،**شرح ديوان**، شرح وتحقيق رحاب عكاوي ،دار الفكر العربي، ط1 بيروت- لبنان .

مبارك، زكي. (د.ت). **مدامع العشاق**، ، ط1 ،دار الجيل، بيروت، لبنان.

المتوكل الليثي، **ديوان شعر**. (د.ت)، يحيى الجبوري.(د. ط)، الناشر مكتبة الاندلس، بغداد.

مجنون ليلى، 1412هـ- 1992م، **الديوان**، شرح يوسف فرحات، الناشر،، ط1 ، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

محاسنة، محمد حسين، 2001 ،(د.ت)، **تاريخ الحضارة والنظم الإسلامية**، ط1.

مسكين الدارمي، 1389هـ- 1970م ،**شعر**، جمع وتحقيق عبد الله الجبوري، وخليل إبراهيم العطية، (د.ط)، مطبعة دار البصري، بغداد.

معروف، ناجي، (د.ت)، **أصالة الحضارة العربية**، ط2، مطبعة التضامن، بغداد.

المبيضين، ماهر،2002. **مظاهر الحضارة المادية في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الاردن.

رواقة، انعام موسى ، 1995. **مظاهر النشاط الاقتصادي في الشعر الأموي**، اطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، الأردن.

المومني،عمر ،1988. **المظاهر الحضارية عند شعراء الغزل في العصر الأموي**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن.

النابغة الشيباني، 1987م.**الديوان**، تحقيق عبدالكريم إبراهيم يعقوب. (د.ط). منشورات وزارة الثقافة السورية، ودار إحياء التراث العربي، دمشق.

الناطور، شحادة علي،(1416هـ- 1996م). **التفاعلات الحضارية في فجر وضحى الاسلام**،ط1، دار الكندي للنشر والتوزيع،عمان.

نصير، أمل، 2000م.صورة المرأة في الشعر الأموي، ط1 ،دار الفارس للنشر والتوزيع.

هلال، محمد غنيمي، 1976 .**الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية**. (د.ط). دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

وضاح اليمن،1996 .الديوان، شرح محمد خير البقاعي، تأليف، محمد بهجت الأثري، وأحمد حسن الزيات، ط1، دار صادر، بيروت- لبنان.

الوليد بن يزيد، 1979 ، **شعر** ،جمع وتحقيق حسين عطوان، ط1 ،مكتبة الأقصى ، المطبعة الاقتصادية، عمان.

يزيد بن الطثرية، ديوان شعر، (د.ت). ناصر الرشيد، (د.ط) دار التوبة.

يزيد بن مفرغ الحميري، 1395هـ- 1975م.**الديوان**، جمع وتحقيق عبد القدوس أبو صالح ، ط1، مؤسسة الرسالة.

يوسف خليف، مي. (د.ت). **القصيدة الجاهلية في المفضليات (دراسة موضوعية وفنية)**. (د.ط). الناشر: مكتبة غريب.